قلوب عبير

كارول مورتيمر

التحدّي

www.elromancia.com
مرمورية

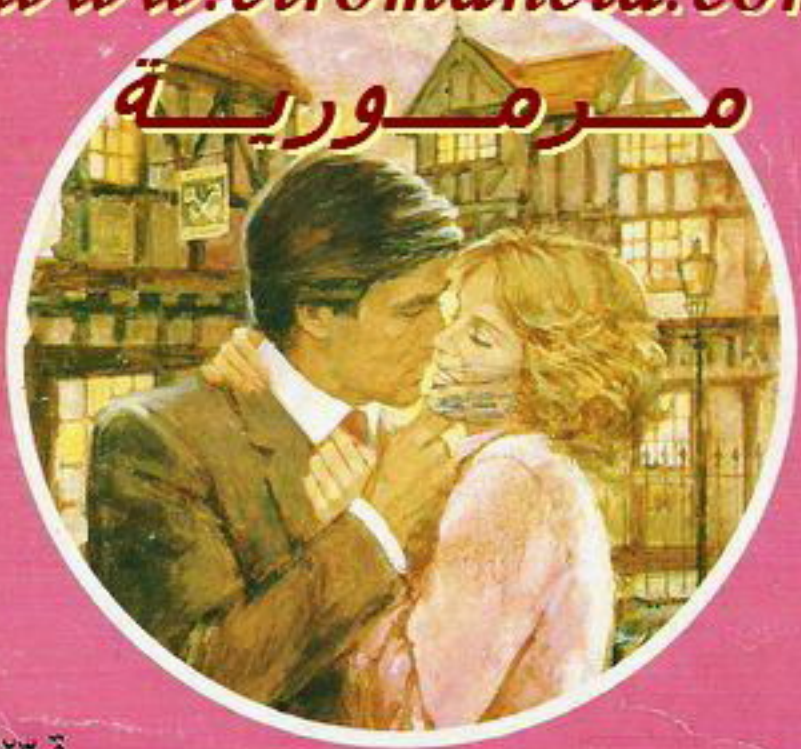

قلوب عبير

HARLEQUIN — "ABIR" — No. K 23

التحدي

لا شيء يعادل تلك الأحاسيس الغريبة التي تغزو قلباً يافعاً لأول مرة. روبين مراهقة لا تعرف ماذا تفعل ازاء حبها الأول الذي صعقها من أول نظرة، واندفعت في تياره بكل أنوثتها المتفتحة كنهر يتدفع نحو المصبّ بشكل اعمى، لا يلوي على شيء، لا يأبه بالحواجز. ولكن الحواجز كانت كثيرة. وشخصية ريك الرجل الذي افتتنت به متقلبة وسرية بذاتها أشبه بالقناع الذي يخفي تحته طبيعة ثانية. هذا الازدواج الذي حيّرها وكاد يقتلع شجرة الحب من جذورها، هل كان أساسه الخداع ام التحدي؟ ام انه لعبة خطرة وغير عادلة؟ مهما يكن الأمر، روبين صممت منذ البداية ان لا تكون هي الخاسرة...

لبنان	١٢ ل.ل.	الكويت	١ د	اليمن	٤ ر	السودان	٨٠٠م
سورية	١٢ ل.س	الامارات	١٢ د	تونس	١،٥٠٠ د	U.K.	£ 1.50
الأردن	٨٠٠ ف	البحرين	١،٥٠٠ د	ليبيا	١ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٢ ر	المغرب	٥ د	Greece	Drs 200
السعودية	١٢ ر	عمان	١،٥٠٠ ر	مصر	٧٢٥ ق	Cyprus	P 1.50

١ ـ اصابت روبن رعشة طفيفة وهي تدخل منزل الرجل الغريب لأول مرة. اتراها كانت صادقة في انطباعها الأول عنه وهو انه قد يكون هارباً من العدالة؟

كانت الأشجار تظلل الطريق الضيقة التي انطلقت فيها روبن على دراجتها، وهي تتمايل تحت خطر الوقوع في احدى الحفر. وكانت الطيور تغرد في تلك الأشجار، وضحكات الأولاد تتعالى فرحاً وهم يلعبون ويمرحون في اشعة الشمس.

فمن اين جاء هؤلاء الأولاد وليس في الجوار سوى منزل واحد لا يزال خالياً منذ وقت طويل؟ غير انها تذكرت ان بعض اولاد القرية كانوا في بعض الأحايين يأتون الى هناك... فهل يكون بلي واحداً منهم؟

نعم، ها هو هناك في وسط جمع من الصبية، يتقاذفون الكرة وقد خلعوا عنهم ستراتهم وعلقوها على قوائم المرمى.

توقفت روبن وهي على دراجتها، وتطلعت فرأت اخاها بلي مبتهجاً باللعبة كعادته، ثم لم يلبث ان قذف الكرة برجله فأصاب المرمى.

وأخذت تناديه مراراً، فلما سمعها نظر اليها بفارغ صبر. كان يشبهها الى حد بعيد، بشعره الأشقر وبشرته الناصعة البياض. غير انه كان، بخلافها، اكثر جرأة وميلاً الى العنف، فسألها قائلاً:

ـ ماذا تريدين؟

ـ انت تعلم انك يجب ان لا تكون هنا!

قالت ذلك لأن اباهما حذره من اجتياز حدود الأرض التابعة

لذلك المنزل المسمى اورشرد هاوس.

فاستاء بلي لتدخلها السافر في شؤونه وصاح بها:

- ما لك ولي؟ دعيني وشأني!

وكان الصبية توقفوا عن اللعب وتجمعوا حولهما يتسمعون، فقالت لهم روبن:

- وأنتم ايضاً... ماذا تفعلون هنا في املاك خاصة؟ اما انذركم، في المرة الماضية، الشرطي فولر لا تدخلوها لتلعبوا فيها؟ فماذا لو جاء الآن ووجدكم قد عصيتم امره؟

وقال لها بلي:

- روبن...

ولكنها قاطعته قائلة:

- انا آسفة يا بلي... ولكن عليك ان تلعب مع رفاقك في مكان آخر.

- ليس هناك من مكان آخر...

- هذا ليس عذراً مقبولاً. المهم في الأمر هو انه لا يحق لكم جميعاً ان تلعبوا في هذا المكان.

وتفرق الصبية بعد ان رموا روبن بنظرات الاستياء، فشعرت بالضيق لأنها افسدت عليهم بهجتهم ومرحهم. ولكنها تعزت لانقاذهم من عقاب الشرطي فولر، فيما لو مر ووجدهم هناك.

وحين انفرد بلي بأخته اظهر لها غضبه وتذمره من تصرفها، فقالت له:

- انا فعلت ذلك لخيرك يا بلي.

فركل بلي حجراً في الطريق وهو يجيبها قائلاً:

- هذا ما يقوله والدنا دائماً، قبل ان يعاقبني بطريقة او بأخرى.

- لم اقصد ازعاجك يا بلي، افلا تسامحني؟

ففكر بلي قليلاً. وكانت روبن تعلم انه سرعان ما يعود الى صفائه كالعادة.

- سامحتك، ولكن ساعديني في التفتيش على الكرة اولاً، فهي وقعت في العشب بين الأشجار هناك.

فأجابته قائلة ببشاشة:

- بكل سرور.

وأوقفت دراجتها بجانب الممر وسارت معه الى حيث وقعت الكرة.

كان العشب طويلاً يصل الى الركبتين، فتعذر عليهما العثور على الكرة. وانهمكت روبن بقطف بعض الزهور التي صادفتها بين العشب.

فصاح بها بلي، وقد عثر على الكرة:

- لماذا تقطفين الزهور؟ هذه سرقة!

وفجأة اطلت سيارة وتوقفت في الممر بعد ان صدمت دراجة روبن بعض الشيء.

واختبأت روبن وراء جذع شجرة وجذبت بلي الى جانبها وقالت:

- ماذا جاء بهذه السيارة الى هنا؟ فالمنزل لا يسكنه احد...

- من يعلم؟ المهم ان دراجتك ربما صارت كومة من الحطام.

- ماذا يمكنني ان افعل؟

- عليك ان...

فقاطعته مشيرة عليه بالسكوت لأن رجلاً نزل من السيارة.

وأخذت روبن تراقب الرجل وهو يدور حول السيارة ويتفحص ما تبقى من الدراجة. ثم انتصب واقفاً وتطلع حوله بعينين رماديتين. كان وسيماً رغم هندامه المهمل وشعره الطويل الأشعث، وكان انفه مستطيلاً ومستقيماً وفمه صارم القسمات. اما قامته فكانت نحيلة رغم اكتنازها، وثيابه باهتة اللون ونظيفة مع انها لم تكن مكوية. وبدا لروبن انه ربما شارف على الأربعين من العمر.

وأخذت روبن بالرجل، وجذبتها اليه رجولته الصارخة، حتى انها نسيت ان تختبىء جيداً. فلمحها هي وبلي وسار في اتجاههما وعلى

وجهه امارات الغضب، وصاح بهما:

ـ اخرجا من هناك في الحال!

وتمتم بلي وهو يرتجف من الخوف:

ـ ويل لنا...

وجذب اخته بيدها وهو يخرج من المخبأ. ونظرت روبن الى الرجل الغريب، وقد بدت كالقزم امام قامته الفارعة. فصاح بها:

ـ اخبراني ماذا جاء بكما الى هنا؟

فأجابه بلي معتذراً:

ـ نرجوك ان تصفح عنا...

ـ ولمن تلك الدراجة؟ اليست لواحد منكما؟

ـ هي لأختي.

ورمقته روبن بنظرة غاضبة وقالت:

ـ كانت دراجة قبل ان تصدمها سيارتك وتحولها الى حطام!

ظهر بريق الغيظ في عينيه الرماديتين وقال لها:

ـ ما يهمني الآن هو ان اعرف ماذا كنتما تفعلان في هذا الممر الذي هو من املاكي الخاصة؟

فقالت روبن متعجبة:

ـ املاكك الخاصة؟

ـ نعم!

وسأله بلي قائلاً:

ـ هل تسكن هنا؟

ـ طبعاً... وما اسمكما؟

ـ وليم... بلي يا سيدي!

والتفت الرجل الى روبن وقال:

ـ وأنت... ما اسمك؟

ـ روبن.

ـ روبن؟

ـ نعم روبن كاسل.

قالت روبن هذا الكلام وهي تشعر كأنها فتاة صغيرة تحاكم على ذنب فوجئت بارتكابه، على الرغم من انها بلغت الثامنة عشرة من العمر.

وصاح بهما الرجل:

ـ هيا! اخرجا من هنا في الحال، وخذا الدراجة معكما.

فقالت له روبن بوجه متجهم:

ـ ما الفائدة؟ لم تعد تصلح لشيء.

فاخرج الرجل بعض المال من جيبه وقال لها:

ـ خذي هذا وتدبري امرك. العجلة الخلفية فقط بحاجة الى اصلاح.

ـ احقاً تريد ان تدفع ثمن العطل والضرر؟

ـ نعم، شرط ان تخرجا في الحال وتعداني بأن لا تعتديا، انتما ورفاقكما على املاكي الخاصة بعد الآن!

وترددت قليلاً، ولكن بلي اخذ المال من يد الرجل شاكراً وقال لروبن:

ـ هيا بنا!

فنزعت روبن يده عنها وسارت وراءه بتردد الى الممر، غير مدركة ان الرجل تبعهما الى سيارته وفتح الباب استعداداً لمواصلة طريقه الى المنزل.

وقال لهما بلهجة صارمة:

ـ لا تنسيا ما قلته لكما. لا اريدكما ولا اريد رفاقكما هنا من الآن فصاعداً... افهمتما؟

وصعد الى السيارة واغلق الباب وراءه بعنف.

نظرت روبن الى دراجتها باستياء وهي تقول:

ـ ايجوز هذا؟ علي بعد الآن ان اركب الباص غداً الى عملي.

وكانت روبن تعمل في مكتبة عامة في مدينة امبتهول التي تبعد عن

www.elromancia.com

القرية نحو ثلاثة اميال. وكان الباص الذي يسير على تلك الطريق لا يتقيد احياناً بالمواعيد، فكثيراً ما كانت روبن، قبل شرائها الدراجة، تتأخر في الوصول الى مكان عملها.

وساعدها بلي على رفع دراجتها وايقافها على عجلة واحدة مستقيمة واخرى عوجاء، وقال لها مازحاً:

ـ اساليه، فلعله ينقلك في سيارته الفخمة.

فتجهم وجهها وهي تضع باقة الزهور في السلة المعلقة في مقدمة الدراجة. وسرها ان الرجل لم يأخذ منها الباقة، وقالت لبلي:

ـ هيا نذهب الى البيت ونرى اذا كان الوالد يعتقد ان بالامكان اصلاح الدراجة.

فبادرها بلي بالقول وهو يمسك بالدراجة:

ـ دعيني اساعدك.

ثم ناولها المال الذي دفعه الرجل، فأخذته ووضعته في جيبها من دون ان تعده. وقالت لبلي:

ـ لماذا تلاطفني على غير عادتك يا بلي؟

فرمقها بنظرة بريئة ساذجة وأجاب قائلاً:

ـ انا دائماً لطيف معك يا روبن!

ـ هذا غير صحيح...

واعترف بلي انه ربما كان يلاطفها لكي لا تخبر والدها بأنه عصي اوامره ولعب بالكرة في املاك الغير.

وقالت له روبن:

ـ لا تقلق... فلن اخبره بالأمر.

فأفلت بلي الدراجة وأسرع راكضاً. ونادته روبن قائلة:

ـ انا لم اعدك بشيء.

توقف والتفت اليها قائلاً بخبث:

ـ اعرفك وأعرف انك لن تخذليني!

وكان في ذلك على حق. اذ كيف لها ان تخذله وهي التي قضت كل

سنواتها الثماني عشر تساعده على الخروج من المآزق التي كان يوقع نفسه فيها، من دون ان تخبر احداً. كان يصغرها بخمس سنوات، فلا عجب ان تشعر نحوه بالعطف والرعاية من كل اذى.

وسارت نحو البيت ببطء، ولما بلغته اسندت الدراجة الى سور الحديقة ودخلت مسرعة لتخبر والدها بالأمر، فقال لها:

ـ سأتفحصها فيما بعد... والآن هل التقيت بلي في طريقك؟

ـ اظن انني لمحته من بعيد... ولكني لست متأكدة من ذلك.

فرمقها والدها بنظرة تأنيب ولم ينطل عليه تهربها من الجواب الصريح. وقال لها بنبرة جافة:

ـ لا بد انه سيحضر الى تناول طعام الغداء.

ـ نعم، كعادته... اليس كذلك؟

وعضت روبن على شفتها خجلاً من نفسها، خصوصاً حين ادركت ان والدها لم يكن يجهل حقيقة الأمر.

وكان والدها يملك حانوتاً ومكتباً للبريد. وكانت والدتها تدير الحانوت، فيما انصرف والدها الى العمل في مكتب البريد وتسليم طلبات الزبائن من الحانوت، حين لم يكن في وسعهم المجيء اليه من منازلهم. وكان ذلك يدر عليهم ارباحاً لا بأس بها، حتى ان روبن درجت احياناً على مساعدة والديها في ايام عطلتها من العمل في المكتبة.

وقال لها والدها:

ـ والآن اخبريني... ماذا اصاب دراجتك بالفعل؟

قال ذلك وهو يستريح في كرسيه وينفث دخان غليونه ويتصفح جريدته.

فأجابته روبن قائلة بشيء من الانزعاج:

ـ العجلة الخلفية مقوسة وتحتاج الى تقويم.

ـ مقوسة؟ والى اي حد؟

ـ كثيراً!

فوضع الجريدة جانباً وسألها قائلاً:

- وكيف حدث ذلك؟

- وقع لي حادث بسيط.

وهنا دخلت والدتها تحمل آنية الزهور التي جاءت بها. وكانت سمعت ما اخبرت به والدها عن وقوع حادث لها، فقالت:

- اصحيح هذا يا روبن؟

وكانت روبن وبلي يشبهان والدهما، بلون بشرتهما الناصعة البياض ونحولة قامتيهما. اما والدتهما فكانت قصيرة القامة سمراء اللون. وكانت تحب حياة القرية وتميل الى عملها في الحانوت، على الرغم من انها كانت تؤثر على ذلك تربية ولديها وادارة شؤون بيتها.

وتلعثمت روبن وهي تجيب والدتها قائلة:

- دراجتي... نعم دراجتي صدمتها سيارة...

- وهل كنت تركبينها؟

- كلا. كنت اقطف تلك الزهور... وكانت الدراجة متوقفة بجانب الطريق حين صدمتها السيارة وعبرت عليها.

- والسائق هل توقف؟

- نعم... وهل لديكما علم بأن هناك من يسكن اورشرد هاوس؟

فأجابتها والدتها قائلة:

- نعلم ذلك. انه السيد هوارث وهو يسكنه منذ اسبوعين أو ثلاثة... هل هو الذي صدم دراجتك؟

- نعم... ولكن اللوم يقع علي. كان يجب ان لا اوقفها خارج منزله، حين دخلت الحقل لأقطف الزهور.

- حين جاء الى الحانوت اخبرني انه يدعى ريتشارد هوارث، وتصغيره ريك... لم يشتر شيئاً يذكر، لأنه على ما يظهر يشتري حاجياته الأساسية في المدينة ولا يحتاج من الحانوت الى اكثر من الخبز والبن.

وقالت روبن تعليقاً على كلام والدتها:

- انا اعتقد انه لا يشتري حاجياته في المدينة... ولا في اي مكان آخر!

فنظرت اليها والدتها بحيرة وقالت:

- تعنين انه لا يأكل؟

- اعني على الأقل ان ذلك لا يظهر عليه... هذا اذا رأيت ثيابه المبتذلة وهندامه الفوضوي، على الرغم من انه يقود سيارة جديدة فخمة... الا اذا كان سرقها!

فزجرتها امها قائلة:

- كفى يا روبن! السيد هوارث، كما بدا لي، رجل على جانب كبير من الثقافة... ولكنه ربما كان غريب الطبع!

ولم تكن روبن تعتقد ذلك. كيف لا وهو لم يستطع ان يرى احداً في املاكه الخاصة، حرصاً منه على عزلته التامة مهما كلفه الأمر.

وتجهم وجه الوالدة وهي تقول:

- لا استطيع ان اتصور ان الرجل لا يأكل!

وهنا وضع زوجها الجريدة جانباً وقال:

- وما رأيك انني انا ايضاً لا آكل... الم تهيئي طعام الغداء بعد؟

- انت لا تفكر الا في معدتك!

وضحكت روبن، فيما خرجت والدتها من الغرفة لتهيء الطعام، وقالت لوالدها:

- امي على حق اذا هي لم تطعمك!

فأجابها ضاحكاً:

- ولكني لا اظنها قاسية الى هذا الحد!

وكان الزوجان سعيدين بزواجهما، للانسجام الشديد بين طبائعهما. وجاء اشتراكهما في ادارة الحانوت ليزيد الالفة والمحبة بينهما.

وفي اليوم التالي استقلت روبن الباص الى عملها. ولم يتقيد الباص كعادته بالمواعيد، فوصلت روبن الى المكتبة متأخرة نحو ربع

ساعة، مما جعل رئيسها السيد ليفن يرمقها بنظرة تأنيب.

وكانت روبن تعشق عملها في المكتبة، لأنها كانت تميل الى المطالعة ميلاً شديداً. كان يكفي ان تلمس كتاباً حتى تشعر برغبة جامحة في التهام صفحاته. وهذا ما جعل السيد ليفن يتردد كثيراً في تكليفها بترتيب الكتب الروائية على الرفوف الخاصة بها. فهي اذا وجدت كتاباً جديداً انهمكت في مطالعته واهملت كل شيء آخر.

ولكنها في يوم من الأيام دهشت حين امرها السيد ليفن بترتيب الكتب. غير ان سرورها بذلك تضاءل عندما اكتشفت انها ستقوم بهذا العمل مع سلمى، لا لأن سلمى لم تكن حلوة المعشر في اغلب الأحايين، بل لأنها كانت تطلب من الذين يعملون معها ان يبادلوها الكلام على شؤونهم الخاصة.

وهكذا، ففي ذلك اليوم لم تترك لها سلمى مجالاً لتصفح اي كتاب جديد، اذ طفقت تحدثها باسهاب عن مغامرتها مع شاب تعرفت اليه في عطلة نهاية الاسبوع.

ثم قالت لروبن:

- وأنت، ماذا جرى لك من هذا القبيل؟

فأجابتها قائلة بدهشة:

- عني انا؟

- نعم، عنك! اليس لك صديق؟

فاحمرت وجنتا روبن خجلاً لأنها، في حضرة فتاة كسلمى يتنازع على صداقتها الفتيان، وجدت نفسها صفر اليدين من اي صديق.

وقالت لها سلمى حين رأت احمرار وجنتيها:

- ايمكن ان تكوني بلا صديق؟ وكيف ذلك؟

- انا لم اقل اني بلا صديق...

- اذن، فلك صديق!

- نعم...

وشق على روبن ان تضطر الى الكذب في امر لم يكن على ذلك

الجانب من الأهمية.

- وما اسمه؟

فتلعثمت روبن وحارت بماذا تجيب. ثم خطر لها ان تقول:

- اسمه ريتشارد... ريك هوارث!

فظهر الاهتمام على وجه سلمى، وتابعت كلامها قائلة:

- وأين صادفته؟

- هنا في سانفورد ... انتقل اليها منذ حين... وصادفته في عطلة الاسبوع!

- وكيف وجدته؟ هل هو فتى ظريف؟

- كثيراً!

- ووسيم الطلعة؟

- نعم!

فقطبت سلمى جبينها وهي تسألها قائلة:

- الا تريدين التحدث معي عنه؟

وهنا بدأت روبن تتضايق من هذا الحوار، فأجابتها قائلة:

- كلا!

ولم تنزعج سلمى من هذا الجواب، بل قالت مداعبة:

- ارى انك حريصة على الاحتفاظ به لنفسك!

- ربما!

- ومتى ستجتمعين به مرة اخرى؟

فاضطرت روبن الى مواصلة اللجوء الى الكذب، اذ اجابت قائلة:

- الليلة... ربما.

- وهل ستذهبان الى مكان جميل؟

- لا ادري. قد نجتمع عنده في البيت!

وتمنت روبن لو انها تستطيع ان تبتعد عن سلمى وتضع حداً لهذا الكلام الكاذب، ولكن ذلك لم يكن بالامكان لأن هذا سيستغرق

طول الصباح.

وقالت لها سلمى:

- هل تعرفت الى والديه؟

فهزت رأسها قائلة:

- انه يسكن في بيت خاص به...

- صحيح؟

- نعم!

قالت ذلك واقتربت من الطاولة التي كان يجلس اليها السيد ليفن لكي تتحاشى الاستمرار في الحديث. غير ان سلمى لم تشأ ان تتوقف، فقالت لها:

- انا لم اعاشر فتى يسكن في بيت خاص به، فكان علي دائماً ان انتظر خروج والديه...

ولماذا الانتظار؟ تساءلت روبن في نفسها. كانت سلمى فتاة جميلة، بشعرها الأسود المسترسل على كتفيها، وبعينيها النجلاوين وبشرتها الناعمة وقامتها الهيفاء، ولكنها مع ذلك كانت سيئة السمعة لدى فتيان المنطقة. كان معظمهم يتمنى معاشرتها الى حين، ولكنهم كانوا في نهاية الأمر يختارون سواها للزواج. ولم يكن ذلك من الانصاف في شيء، نظراً الى جمالها وحسن معشرها.

- لا بد ان صاحبك من الاغنياء ليستطيع ان يكون له بيت خاص به...

فأجابتها روبن وهي تزداد اقتراباً من طاولة السيد ليفن:

- لا علم لي!

- ام لعله لا يملك بيته، وانما استأجره...

وهمت روبن بالرد على كلامها، غير ان السيد ليفن صاح بهما قائلاً:

- كفى... هذا المكان للدرس والمطالعة بهدوء، لا لتبادل الأحاديث بصوت مسموع!

فظهر عليهما الارتباك ولزمتا الصمت طول النهار. وشعرت روبن بالخجل من نفسها لأنها استعملت اسم ريك هوارث باطلاً، لتظهر لسلمى انها لم تكن تفتقر الى صديق.

ووصل الباص متأخراً ايضاً ذلك المساء، فاستقلته روبن الى البيت ووجدت ان الحانوت مغلق ووالدتها في المطبخ تهيء طعام العشاء.

وقالت لها والدتها حين دخلت واعتذرت عن تأخرها:

- حسبت انك ستتأخرين، ولذلك اخذت وقتاً لاعداد طعام شهي.

فشكرتها روبن على اهتمامها وصعدت مسرعة الى غرفتها، حيث استبدلت ثيابها ورجعت لتجد الطعام على المائدة وبلي ووالديها في انتظارها.

وقال لها والدها وقد بدأ يتناول طعامه:

- اصلحت دراجتك اليوم يا روبن.

فأشرق وجهها فرحاً وهي تشكره على ذلك. وسرها انها لم تعد بحاجة الى ركوب الباص الى عملها غداً صباحاً.

وتابع الوالد كلامه قائلاً:

- استبدلت العجلة المقوسة بعجلة دراجة امك. فهي لا تستعملها ابداً.

- اذن، لم يكن عليك ان تشتري عجلة جديدة...

- كلا.

فقال بلي لروبن:

- هذا يعني انك يجب ان تعيدي المال الى الرجل!

فبادرت الأم الى القول:

- المال؟ اي مال هذا يا روبن؟

- السيد هوارث اعطاني بعض المال البارحة لاصلاح الدراجة، فنسيت ذلك وغاب عن بالي.

وأخرجت من جيب سروالها ورقتين ماليتين، كل واحدة بعشرة جنيهات، فحملق بلي فيهما قائلاً:

ـ ما هذا؟

وقال لها والدها:

ـ نعم، ما هذا يا روبن؟ لا يحق لك ان تقبلي مالاً من السيد هوارث، خصوصاً وأنت نفسك قلت ان اللوم يقع عليك لا عليه.

ـ انا آسفة... وسأعيدها اليه!

ـ لا شك في ذلك... وأنت يا بلي كيف عرفت ان السيد هوارث اعطاها مالاً؟

فتلعثم بلي وحار بماذا يجيب. فأسرعت روبن الى نجدته قائلة:

ـ انا اخبرته!

ـ عليك ان تعيدي اليه ماله في اسرع وقت ممكن.

ـ الليلة!

قالت والدتها بحزم. ثم تابعت كلامها قائلة:

ـ وعندي اقراص من حلوى التفاح اريد ان ارسلها الى السيد هوارث، فيمكنك ان تأخذيها معك يا روبن.

ونهضت روبن عن كرسيها لتساعد والدتها في اعداد المائدة. وفيما هي تفعل ذلك قالت لها:

ـ انا لا امانع يا اماه ان اعيد المال الى السيد هوارث، ولكن ارجوك ان ترسلي قطع الحلوى مع بلي.

فقال بلي محتجاً:

ـ لا اقدر ان افعل ذلك.

فأجابته والدته باصرار:

ـ نعم، تقدر. ولماذا لا؟ ابوك متعب هذا اليوم، ولا يجوز ان نكلفه بعمل كهذا.

ـ ولكني عندي تدريب على كرة القدم.

ـ يمكنك ان تذهب الى التدريب بعد ان تأخذ الحلوى. فهذه

المهمة لا تستغرق اكثر من خمس دقائق.

وحاول بلي التملص ولكن والده نهره وأمره بأن يطيع والدته. فتبعها الى المطبخ، غير ان روبن عادت عن رفضها اكراماً له، وأعلنت عن رغبتها في حمل الحلوى الى السيد هوارث ما دامت ستذهب لاعادة المال اليه على كل حال.

وحملت روبن الحلوى وأسرعت نحو اورشرد هاوس. ولاح لها المنزل من بعيد، ولولا السيارة المتوقفة عند المدخل، والدخان المتصاعد من الموقدة لحسبته خالياً مهجوراً. وحين اقتربت منه وجدت ان لا ستائر على النوافذ ولا حركة تدل على ان احداً يسكن فيه.

وطرقت الباب الأمامي، ولما لم تسمع جواباً، سارت الى الباب الخلفي وطرقته ايضاً. وكذلك لم تسمع جواباً. وحارت في الأمر لأنها كانت متأكدة ان الرجل لا بد ان يكون في الداخل، والا كيف يترك سيارته والنار مشتعلة في الموقدة...

ورأت ان تطرق الباب مراراً، ولما لم يجبها احد فتحت الباب ودخلت، فاذا بها تجد ابريقين فارغين في المغسلة ولا شيء آخر في ذلك المطبخ. كان فارغاً من الأواني والأدوات المطبخية، ولا دليل آخر على ان احداً يستعمله.

فوضعت ما كانت تحمله من الحلوى على طاولة هناك وعزمت على تفتيش الغرف الأخرى، فاذا بالغرف كلها فارغة من الأثاث، ما عدا غرفة الموقدة حيث وجدت سريراً متواضعاً، وطاولة عليها آلة كاتبة وحولها كرسي خشبية ثم لا شيء غير ذلك.

وأصابتها رعشة وهي تعود ادراجها متسائلة كيف يمكن لأحد ان يعيش على هذه الحال من التقشف؟ اتراها كانت صادقة في انطباعها الأول عنه وهو انه قد يكون لصاً هارباً من وجه العدالة؟

وصرفت عنها هذه الفكرة، اذ لا يعقل ان يختبيء احد في مثل تلك القرية، حيث يعرف الناس بعضهم بعضاً ويحصون حركاتهم

وسكناتهم. والدليل على ذلك والدتها التي اخذت علماً بوجوده في المنزل، حالما انتقل للسكن فيه.

ولكن اين هو الآن؟ كان المنزل خالياً، فهل هو يا ترى في الحديقة يتفقدها ويتعهدها؟

وعادت روبن الى المطبخ وهي حائرة ماذا تفعل. ولم تجد ان من الصواب ترك الحلوى هناك، فقد يتساءل الرجل حين يجدها من اين اتت. ولم تجد ان من الصواب كذلك ان تعيد الحلوى الى امها، فهي لا بد ان تسألها عن السبب. فهل تنتظر مجيئه؟ ولكن انتظارها قد يطول، وهذا ايضاً لم يكن من الصواب في شيء.

وفجأة سمعت صوتاً يصيح بها:

ـ ماذا تفعلين هنا؟

فاستدارت روبن الى مصدر الصوت، فاذا بها وجهاً الى وجه امام ريك هوارث.

٢ ـ رغم صغر سنها ومنذ اللحظة الأولى ادركت روبن بغريزتها ان تصرفاته الصارمة لم تكن الا قناعاً يخفي طبيعته الحقيقية. ولكن ليس تماماً...

كان ذلك مفاجأة صاعقة لها، فارتبكت اشد الارتباك، حتى ان وعاء الحلوى الزجاجي الذي كانت رفعته وحملته في يديها سقط على ارض الغرفة فتحطم وتناثر كل ما كان يحتويه. وتأوهت روبن وقالت للسيد هوارث وهي تركع على ركبتيها لالتقاط الشظايا:

ـ هل لديك قطعة من القماش؟

فأمسك بذراعها بعنف وصاح بها قائلاً:

ـ ما هذا ايتها الفتاة؟ امعتوهة انت؟

فرفعت رأسها ونظرت اليه نظرة غاضبة وصرخت في وجهه قائلة وهي تحاول الافلات من يده:

ـ انا لست معتوهة يا سيد هوارث. وانما انت اربكتني بحضورك المفاجيء فسقط الوعاء من يدي...

ـ هكذا يبدو لي.

ـ اذن اعطني قطعة من القماش لأنظف ارض الغرفة.

فتأفف الرجل وسار نحو الخزانة التي تحت المغسلة وأخرج قطعاً رثة من القماش وألقى بها على الطاولة امامها وقال:

ـ خذي وتدبري امرك!

فشكرته وعادت فركعت على ركبتيها وأخذت تلتقط شظايا الوعاء وتمسح الأرض. وفيما هي تفعل ذلك قال لها بقساوة:

ـ اريد ان اعلم ماذا جاء بك الى منزلي!

- طرقت الباب مراراً فلم اتلق جواباً...
- بل انت دخلت من دون ان تطرقي الباب!
- هذا غير صحيح...
- كفى... كيف لي ان اصدقك!
فاحمر وجهها غيظاً وقالت له:
- انا لم آتِ الى هنا لكي اهان...
- ما كنت تهانين لو انك لم تعتدي على عزلة الآخرين. وهذه هي المرة الثانية، في خلال بضعة ايام، التي امسكتك فيها تتجاوزين حدود املاكي من دون استئذان. والآن عودي من حيث اتيت ولا ترجعي الى هنا ابداً...
عضت روبن على شفتها وحاولت تبرير تصرفها، ولكنه قاطعها قائلاً بحزم:
- لا لزوم للشرح واطالة الكلام. اعتداؤك واضح وضوح الشمس في النهار ولا يهمني السبب... افهمت؟
- اخبرتك اني...
- نعم اخبرتني انك طرقت الباب ولم تتلقي جواباً. وعلى افتراض صحة كلامك، كان عليك ان تذهبي ثم تعودي في فرصة اخرى. اليس هذا هو التصرف المتعارف عليه بين الناس؟
وهنا انتصبت روبن واقفة على قدميها ورمت بقطع القماش والشظايا وبقايا الحلوى في احدى زوايا المطبخ وقالت:
- انا ذاهبة الآن ولن اعود الى هنا في حياتي.
وأشارت الى الوعاء الآخر الذي بقي على الطاولة وقالت له:
- سأترك هذا الوعاء، ففيه طعام ارسلته اليك والدتي. ويمكنك اذا شئت ان تعيد الوعاء اليها فيما بعد.
فاقترب من الوعاء ونظر اليه متسائلاً باستياء:
- ما هذا؟
واستنكرت روبن تساؤله، فأجابته قائلة بازدراء:

- ماذا ترى؟ انه ليس سماً، بل طعام يا سيد هوارث!
- ولماذا هو هنا؟
- والدتي ارسلته اليك مما اعدته لنا للعشاء.
- والدتك؟
- نعم، والدتي السيدة كاسل التي تدير حانوت القرية. فهي رأت انك ربما تحب ان تتذوق طعامها...
فحدق اليها قائلاً:
- نعم، نعم، تذكرتها. ولكن ارجوك ان تقولي لها...
فقاطعته روبن قائلة:
- يمكنك ان تقول لها انت بنفسك ما تشاء، عندما تعيد اليها الوعاء.
وسارت نحو الباب بعصبية ظاهرة وهي تقول له:
- تأكد انني سأخبرها اي ناكر للجميل انت يا سيد هوارث!
وقبل ان تفتح الباب امسكها بذراعها قائلاً:
- قفي قليلاً. لماذا العجلة؟
- انت امرتني بالذهاب...
- انا لم آمرك بالذهاب الآن في الحال.
- كنت فظاً في كلامك عن والدتي. فهي حاولت ان تجاملك، وأما انت فاعتبرت ذلك اهانة.
فأفلت ذراعها وحار ماذا يفعل. ثم لم يلبث ان قال وهو يلتفت حوله يميناً وشمالاً:
- الحق معك. وآسف على ما بدر مني.
- نعم، من واجبك ان تأسف.
فابتسم السيد هوارث وقال لها بلطف:
- والآن اخبريني يا آنسة كاسل، ماذا افعل بكل هذا الطعام؟
- عليك ان تسخنه على النار وتأكله... هذا ما يمكنك ان تفعل!
- وكيف يكون ذلك؟

فنظرت روبن الى وجهه لترى اذا كانت عليه امارة التهكم، غير انها لم تر شيئاً من ذلك، فسألته قائلة بجد:

- احقاً لا تعرف كيف؟

- نعم، والا لما سألتك!

- اتريد ان تقنعني بانك لم تأكل شيئاً منذ انتقلت الى السكن في هذا المنزل؟

فهز كتفيه العريضتين وقال:

- كنت اكتفي بالساندويتش والتفاح.

ولوح بتفاحة كانت في يده وأضاف قائلاً:

- هذه عشائي الليلة، لأنني افتقرت الى الخبز منذ الصباح.

- هذا لا يصدق... ماذا تحاول ان تفعل؟ اتريد ان تقتل نفسك؟

فتجهم وجه ريك هوارث وقال غاضباً:

- لا تتدخلي في شؤوني يا آنسة كاسل. طريقتي في الأكل لا تعنيك ابداً.

- لم اقصد التدخل في شؤونك، وملاحظتي يجب ان لا تأخذها حرفياً... هذا مع العلم ان ملامحك لا تدل على انك في حال جيدة!

فأبدى موافقته على كلامها قائلاً:

- الحق معك. انا لست على ما يرام.

فأسرعت روبن اليه ووضعت يدها على كتفه قائلة:

- استرح هنا على هذه الكرسي. منذ متى لم تذق طعاماً؟

- منذ الصباح... لم يكن لدي خبز.

- والبارحة؟

- البارحة اكلت تفاحة أو تفاحتين...

- لا عجب انك خائر العزيمة. والآن سأهيء لك الطعام الذي ارسلته اليك والدتي... اتوافق؟

- شكراً.

وجلس في مكانه يراقبها وهي تفتش عن مقلاة أو اي وعاء يصلح لتسخين الطعام. وبعد ان وجدت ضالتها اشعلت الفرن القديم الذي تركته السيدة بيرد التي كانت آخر من سكن المنزل.

والتفتت روبن الى ريك فوجدته لا يزال يراقبها، ولكنها لمحت انه استعاد شيئاً من عزيمته فجأة. وفيما هي تلتفت لامس اصبعها طرف المقلاة الساخنة فصاحت:

- انظر كيف حرقت اصبعي لأجلك.

فنهض وأسرع اليها قائلاً بلهفة:

- دعيني ارى...

- لا تقلق. لا شيء يستحق الذكر.

فأجابها بحزم قائلاً:

- على كل حال، اريد ان ارى.

ومدت روبن يدها اليه، فتناولها وأخذ يتأمل اصبعها المحروق. ونظرت اليه، وهو يفعل ذلك، فتبينت اكثر من قبل، انه كان رجلاً وسيماً بالفعل، مما جعلها تشعر برعشة تسري في مفاصلها.

وقال لها وهو يفلت يدها من يده:

- انه حرق بسيط.

- اما قلت لك ذلك؟

وعادت الى تسخين الطعام، ثم سكبته في الصحن وحملته ووضعته امامه على المائدة، فقال لها:

- شكراً.

ثم رفع اليها نظره قائلاً بعد ان ذاق لقمة أو لقمتين:

- يا له من طعام لذيذ جداً.

- هذا يسر والدتي كثيراً... خصوصاً بعد الذي بدر منك نحوها!

- ولكني ابديت اسفي.

- ليس كما يجب.

- ربما. الا ان صغار هذا الجيل...

فقاطعته بحزم قائلة:

- صغار!

فابتسم ريك لردة فعلها وقال:

- عفواً... تلامذة هذا الجيل...

فقاطعته ايضاً بغضب وصاحت:

- انا لست تلميذة يا سيد هوارث. انا في الثامنة عشرة من العمر!

فحدق اليها متأملاً قامتها النحيلة وقال:

- قامتك نحيلة لفتاة في الثامنة عشرة من العمر.

فثارت ثائرتها احتجاجاً على هذه الاهانة، وآلمها كيف انه لم ير تقاطيع جسمها المليء بالأنوثة الناضجة، فقالت:

- انت اوقح رجل رأيته في حياتي.

ولم يعترض على كلامها، فتابعت قائلة:

- نعم، وشعرك يحتاج الى تشذيب.

فاستوى ريك في جلسته وقد انهى طعامه وقال لها بهدوء:

- ليتك تقومين بهذه المهمة!

- انا؟

- ولماذا لا؟

- لأني اكاد ان لا اعرفك.

فابتسم ريك ابتسامة ساخرة وقال لها:

- وهل من الضرورة ان تعرفي الآخر لتقصي له شعره؟

- جئت الى هنا لأرد لك مالك... يا الهي! نسيت ان اعطيك اياه...

ومدت يدها الى جيبها واخرجت الورقتين الماليتين ووضعتهما على الطاولة وهي تقول:

- لم احتج اليهما على كل حال.

ولم يحاول ريك اخذهما، كما لو ان المال لم يكن يعني له شيئاً،

وقال:

- ماذا جرى حتى انك لم تحتاجي الى هذا المال؟

- والدي استبدل العجلة المقوسة بعجلة دراجة اخرى لنا. ومهما يكن، فأنا لم اجيء الى هنا الا لأرد مالك واحمل اليك بعض الطعام...

- لا شك في ان والدتك طاهية ماهرة، فهل تحسنين الطهي مثلها؟

- يا ليت! ولكن لماذا تسأل هذا السؤال؟ هل تنوي ان تستخدمني كطاهية عندك؟

فرد على تهكمها قائلاً:

- يا لها من فكرة حسنة!

- لا، بل في منتهى السخافة! والآن انا ذاهبة. تأخرت وسيقلق علي والداي.

- وماذا عن شعري؟

- يمكنك ان تذهب الى المزين.

وهنا وقف ريك هوارث وهو احسن حالاً مما كان عندما جاءت اليه، وقال:

- سأنقلك في سيارتي.

- لا حاجة الى ذلك. بامكاني ان اذهب سيراً على قدمي.

- لا سأرافقك. اخشى ان يعتدي عليك احد في الطريق.

- هنا في سانفورد؟

- هنا وفي اي مكان. الطريق مليء بالغابات وقد يعترضك احد ويخطفك اليها بسهولة ولا من منقذ.

- شكراً لم يخطر ذلك ببالي من قبل وليست هذه هي المرة الأولى التي اعود فيها الى البيت في مثل هذا الوقت من النهار.

فأصر ريك على رأيه وفتح لها الباب وخرج برفقتها الى السيارة وقالت له روبن وهما يصعدان الى السيارة:

- الا تقفل باب منزلك؟

فتطلع اليها متأملاً وقال:
- لا شيء في المنزل يغري احداً بسرقته.
وأدار محرك السيارة وانطلق بها في الطريق.
وقطبت روبن جبينها وهي تقول:
- لماذا لا تقتني بعض الأثاث للمنزل؟
- ومن اخبرك ان لا اثاث فيه؟
فتلعثمت ولم تعرف ماذا تجيب. فتابع قائلاً بقساوة:
- ارى انك تجولت في الغرف. كل النساء مثلك يعشقن الاطلاع على خصوصيات الآخرين.
فارتبكت روبن لهذا الاتهام وحاولت ان تدافع عن نفسها. غير انه لم يكف عن تأنيبها، فصاحت به قائلة:
- ارجوك يا سيد هوارث!
وكانا وصلا الى البيت، فأوقف السيارة وقال:
- هذا هو البيت، اليس كذلك؟
- نعم، ولكن...
- وداعاً يا آنسة كاسل... بلغي شكري الى والدتك.
وخرجت من السيارة وهي تتمتم قائلة:
- سأفعل... ولكن كنت اود ان تسمح لي بأن افسر لك تصرفي!
- لا لزوم لأي تفسير.
قال ذلك وأغلق باب السيارة بعنف وانطلق بها راجعاً الى منزله.
وقالت روبن في نفسها:
- يا له من رجل متقلب، يظهر اللطف والوداعة حيناً، ثم لا يلبث ان يعود الى قساوته وعنفه.
غير انها اعترفت ان لا حق لها ان تتجول في ارجاء منزله، ولكنها وجدت عذراً في انها انما فعلت ذلك بحثاً عنه.
وقالت لها والدتها حالما دخلت الى البيت:
- طال غيابك يا عزيزتي، فهل عرجت في طريقك على بيت كاي؟

وودت لو انه كان في استطاعتها اتخاذ ذلك سبباً لتأخرها، اذن لتفادت الأسئلة التي سيطرحها والداها اذا علما انها قضت تلك الساعة والنصف في منزل ريك هوارث.
وقالت وهي تجلس على كرسيها:
- لم يكن السيد هوارث في صحة جيدة...
فقاطعتها والدتها قائلة بلهفة:
- يا الهي! هل كان يشكو من المرض؟
- كلا. كان خائراً من الجوع.
- وهل اكل الطعام الذي ارسلته اليه؟
- نعم، ولذلك تأخرت. كان علي ان اعده له واتأكد من انه اكله.
- حسناً فعلت، فأنا لا احب ان ارى رجلاً جائعاً من دون سبب.
غير ان روبن لم تكن تعتقد ان ريك هوارث جرى على عادة تجويع نفسه بقدر ما جرى على عادة عدم تهيئته طعامه. والدليل على ذلك جهله التام للشؤون المطبخية واهماله المطبخ طوال الاسابيع الثلاثة التي سكن فيها المنزل. فلا بد، اذن، انه كان في حياته من يهيء له الطعام. فربما كان متزوجاً ثم انفصل عن زوجته، خصوصاً وانه في سن متقدمة ترجح هذا الظن. وما يرجحه ايضاً عداؤه الظاهر للمرأة.
وقالت لوالدتها:
- وعلى كل حال، فانه اكل اليوم حتى شبع وهو يشكرك ويمتدح مهارتك في طهي الطعام.
وسر الوالدة ان تسمع ذلك، خصوصاً وانها قلما سمعت من يمتدحها على مهارتها في هذا الشأن، لأن افراد عائلتها اعتادوا على تذوق طعامها اللذيذ.
وقالت بعد قليل من الصمت:
- ليته يتخذ لنفسه مدبرة لشؤون منزله.

ولم تخبر روبن والدتها انه عرض عليها القيام بهذه المهمة، وانما قالت لها:

- ليس في المنزل ما يحتاج الى من يدير شؤونه!

وهنا نظر والدها من فوق طرف جريدته وسألها قائلاً لها:

- ماذا تعنين بهذا الكلام؟

- اعني ان منزله خال من الأثاث الا قليلاً، ولكني لا اظن انه يحتاج اليه ما دام يسكن فيه وحده.

ونهضت عن كرسيها وتابعت كلامها قائلة:

- علي الآن ان اذهب لأغسل شعري.

وفي اليوم التالي، حين ذهبت الى عملها في المكتبة، سألتها سلمى قائلة:

- هل اجتمعت بصاحبك ليلة البارحة؟

فتنهدت روبن وتمنت لو انها لم تذكر ريك هوارث لها وأجابت قائلة:

- هو ليس صاحبي.

- ولكن هذا ما قلته لي البارحة.

- ما قلته لك البارحة انه مجرد صديق.

- يبدو لي انك لا تريدين التحدث عنه.

- لا لأني اريد او لا اريد، بل لأن لا شيء يستحق الحديث.

فتطلعت اليها سلمى كمن يعرف دخائل الأمور وقالت:

- جرى جدال بينكما، اليس كذلك؟

وكادت روبن ان تنكر، الا انها غيرت رأيها فقالت:

- نعم.

- لا تقلقي. سيعود اذا كان يميل اليك حقاً.

ولم تكن روبن تبالي بمثل هذا التطمين. فهي لم تفكر في الأمر على اساس كونها ستطمح الى اقامة علاقة بينها وبين ريك هوارث في يوم من الأيام.

وكانت دراجتها اصبحت صالحة للاستعمال، فلم تتأخر في العودة الى البيت آخر النهار. وكان البيت خالياً حين دخلته، اذ كان والداها خارجاً في باحة الدار يصلحان الشاحنة.

وقالت لوالدتها بصوت منخفض لئلا يسمع والدها فيمتعض:

- ماذا حدث للشاحنة؟

- تعطلت وهو يقودها اليوم بعد الظهر، فساعده السيد جف في جرها الى هنا.

فأظهرت اسفها وقالت:

- لا بد انه متعكر المزاج... هل مضى عليه وقت طويل وهو يعمل على اصلاحها؟

- نحو ساعتين. والآن اذهبي وتناولي طعامك بنفسك. فهو جاهز في المطبخ. والدك وأنا سنتناول طعامنا فيما بعد.

- اين بلي؟

- ذهب على دراجته لتسليم بعض المشتريات. وهو يفعل ذلك منذ ان عاد من المدرسة.

وأطل والدها من تحت الشاحنة، ثم طلب من زوجته ان تناوله مفتاح البراغي.

وقالت روبن لوالدتها:

- سأذهب وأتناول عشائي.

- حسناً تفعلين.

وصاح بها زوجها قائلاً:

- هيا يا بربارة، ناوليني مفتاح البراغي.

فأسرعت وناولته المفتاح، ثم التفتت الى روبن وقالت لها:

- اذهبي وسأتبعك بعد حين.

ولما تبعتها كانت روبن انتهت من تناول طعامها وأخذت تغسل ما استعملته من ادوات مطبخية.

وسألت والدتها قائلة:

- هل كل شيء على ما يرام؟
- والدك على وشك الانتهاء. وبلي عاد الى البيت منذ لحظة. فبامكاننا نحن الآن ان نتناول طعام العشاء.
قطبت روبن جبينها وقالت:
- ارى علبة من المشتريات لا تزال هنا، فلمن هي؟ ومتى ستسلم الى صاحبها؟
- هي للسيد هوارث.
- السيد هوارث؟!
فأجابتها والدتها وهي تسخن الطعام:
- بلي يعتقد انك لا تمانعين في تسليم هذه العلبة بنفسك الى السيد هوارث!
- ارجوك يا اماه ان تعفيني من هذه المهمة... فأنا لا اريد ان ارى السيد هوارث. فهو لم يعجبني.
- ما هذا الكلام يا روبن؟ انه رجل لطيف المعشر. فهذا الصباح حمل الينا تلك الباقة من الزهور التي ترينها في الآنية هناك. وفضلا عن ذلك، فعلى بلي ان يستعد لدروسه غداً...
فاذعنت روبن للأمر وقالت:
- سأذهب، اذن، وأبدل ثيابي.
وفي الطريق الى اورشرد هاوس تفحصت روبن المشتريات، فوجدت فيها بعض الطعام الجاهز، بما في ذلك شريحة من اللحم المشوي والكبد المطبوخ بالخضار. وعجبت كيف ان والدتها لا يهدأ لها بال ما لم تطعم كل جائع.
وطرقت الباب ففتحه لها ريك هذه المرة وهتف مرحباً:
- اهلاً بالآنسة كاسل!
- جئت اليك بمشترياتك من الحانوت مع بعض المآكل.
- كنت قطعت الأمل بالحصول عليها الليلة.
وكان يقضم تفاحة حملها في يده، فناولته العلبة وهي تقول:

- اصاب الشاحنة عطل بسيط هذا النهار، فلم يستطع والدي تسليمها اليك!
ولم يحاول ريك ان يأخذ منها العلبة، بل فتح باب المطبخ على مصراعيه وأشار عليها بالدخول. فدخلت بتردد ورمقته بنظرة شك وهو يغلق الباب وراءها.
وقالت له بحزم:
- لن اتمهل في العودة هذه المرة...
- ولماذا لا؟
- لأنني لا اريد ان اتهم بالتلصص عليك والتدخل في شؤونك الخاصة!
- ارى انك لا تزالين حاقدة علي.
- كلا، ليست هذه هي المسألة. المسألة هي انك لا تحتاج، على ما يبدو، الى احد.
- كان هذا فيما مضى...
فاتسعت حدقتا عينيها دهشة وقالت:
- اتريد ان تخبرني انك لا تمانع بوجودي هنا؟
فرمى ريك من يده ما بقي من التفاحة وهو يقول:
- هذا ما اريده تماماً.
ثم فتح العلبة واخرج شريحة اللحم والكبد المطبوخ وسألها قائلاً:
- وماذا افعل بهذا الطعام؟
فانتزعته روبن من يده ووضعته على سطح الفرن وقالت بعصبية ظاهرة:
- انا اعرف ماذا يجب ان تفعل به. ويصعب علي ان اصدق انك جاهل وعاجز الى هذا الحد.
- ولكن هذه هي الحقيقة في ما يتعلق بطهي الطعام.
ونظرت الى قميصه النظيف ولكن المجعد وقالت:
- وكذلك في ما يتعلق بكي الثياب!

فألقى نظرة على قميصه وأجاب قائلاً:
- هكذا يخرج من الغسالة...
- نعم، ولكنه بحاجة الى كي... الا تعرف ذلك؟
- كلا... وكيف لي ان اعرف!
ومرة اخرى لجأ الى الكتمان عندما ادرك انها تجاوزت حدود الاستفسار عن خصوصياته. فحول مجرى الحديث بسؤاله لها قائلاً:
- الم يصبح الطعام جاهزاً بعد؟
واقترب من الفرن ورفع الغطاء عن الطنجرة، فصدته وأعادت الغطاء الى مكانه قائلة:
- لم يصبح جاهزاً بعد... والآن هل لك ان تخبرني ماذا تفعل وحدك طول الوقت؟
فظهرت على وجهه امارات الحذر المشوب بالقساوة وأجابها قائلاً:
- شيئاً من هذا وشيئاً من ذاك!
- ما الذي يجعلك كتوماً الى هذا الحد؟
- وأنت، ما الذي يجعلك هكذا محبة للاستطلاع؟
فتنفست بعمق. وبدت كوردة تفتحت اكمامها تحت ندى الفجر، يشتهيها الناظر اليها ويخشى ان تلامسها يد.
وكان ريك على وعي تام برونق جمالها الغض، فأطبق عينيه بعض الشيء قائلاً:
- امجنون انا؟ ام تراني بلغت حد اليأس؟
فقالت بدهشة:
- لماذا تقول هذا الكلام؟
- لأني اهدر وقتي في التحدث الى فتاة يافعة لم تتجاوز الثامنة عشرة من العمر!
فثارت ثائرة روبن وصاحت به قائلة بصوت مرتجف:
- يا لك من رجل فظ!
وأسرعت نحو الباب هرباً منه، فناداها بعنف:

- روبن!
- لا تقلق يا سيد هوارث... انا ذاهبة ولن اضيع لحظة واحدة من وقتك الثمين.
فبادرها بالقول وقد سيطر على اعصابه:
- روبن... لم تفهمي كلامي على حقيقته. انا في السادسة والثلاثين، فهل تدركين ما يعني هذا؟
- يعني انك كبير السن...
فأجاب مبتسماً:
- لا. كوني في السادسة والثلاثين لا يعني اني كبير السن، بل يعني انك انت صغيرة السن!
فتجهم وجهها وقالت:
- لأي غرض انا صغيرة السن؟
- لهذا...
وألقى يديه على كتفيها وجذبها اليه وعانقها برفق. فجمدت في مكانها ولم تقاوم عناقه لها، لأنها لم تكن تعي ما جرى.
وأدرك ريك ذلك، فأبعدها عنه قليلاً وقال:
- اما قلت لك اني مجنون؟ والآن برهنت لك عن جنوني.
وحاولت روبن ان تتمالك نفسها وهي تقول:
- كيف فعلت هذا؟
- استعملي عقلك يا روبن. ما فعلته كان خطأ.
- لأنك عانقتني؟
- نعم، لأنك لا تزالين طفلة.
فدهشت روبن وحاولت ان تتكلم ولكنه قاطعها قائلاً:
- والآن عليك ان تنصرفي...
- ريك...
- انصرفي في الحال يا روبن!
- وماذا عن عشائك؟

- سأتدبر الأمر بنفسي . . . بربك انصرفي في الحال.

وانصرفت روبن وهي تتساءل ماذا جرى له. كانا يتحدثان ويتجادلان على نحو طبيعي، وفجأة ضمها اليه وعانقها دون سابق انذار ثم لم يلبث ان امرها بالانصراف وهي لا تزال ترتجف وترتعش لهول الصدمة التي احدثها عناقه لها.

وتساءلت روبن ايضاً اذا كان يخفي عليها شيئاً، أو يتهرب من شيء. وعلى كل حال فلم يكن في نظرها الرجل المثالي الذي يجب ان تقع في غرامه. ولكنها مع ذلك انجذبت اليه منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها. فقساوته وعنفه والمرارة التي تتجلى في كلامه وتصرفاته لم تكن، على ما بدا لها، الا قناعاً يخفي طبيعته الحقيقية.

وتمنت روبن لو تعلم ماذا كان يفعل قبل انتقاله الى ذلك المنزل، وطريقة الحياة التي كان يتبعها. غير انها كانت متأكدة من كون تلك الطريقة تختلف تمام الاختلاف عما هي عليه الآن.

وقالت لها والدتها حين عادت الى البيت:

- يبدو على وجهك آثار الانفعال يا عزيزتي.

- ربما لأنني اسرعت في السير. . .

فتطلع اليها بلي من فوق كتابه المدرسي المفتوح امامه على طاولة غرفة الطعام وقال لها مازحاً:

- هذا، ام لأنك كنت عند السيد هوارث؟

فانتهرته قائلة:

- اسكت، ولا تتدخل في امور لا تعنيك.

- لو لم يكن في كلامي شيء من الصحة لما ثارت ثائرتك علي!

- قلت لك اسكت!

وهنا تدخلت والدتها في الأمر قائلة لها:

- لا تأخذي كلامه بمثل هذا الجد يا روبن. الولد يبقى ولداً.

والتفتت الى بلي مؤنبة ولكنه لم يرعو، بل قال لروبن بخبث:

- كل ما في الأمر هو انني اردت ان اعرف اذا كنت انت والسيد

هوارث. . .

فقاطعته والدته بشدة قائلة:

- بلي. . . خذ كتبك ودفاترك واصعد الى غرفتك!

وحاول الاحتجاج، فتابعت كلامها قائلة:

- هيا. ولن تذهب الى اي مكان قبل ان تنهي فروضك المدرسية.

فجمع بلي كتبه ودفاتره واتجه نحو الباب، ثم نظر الى روبن شذراً وهو يفتح الباب ويهم بالخروج. وأدركت روبن انها لا تلومه على موقفه، غير انها لم تكن في مزاج يسمح لها بتبادل المزاح معه كعادتها دائماً. فما جرى لها مع ريك هوارث اقلقها وهزها هزاً عنيفاً.

وسألتها والدتها قائلة:

- ما بك يا روبن؟ هل تشكين من شيء؟

- كلا يا اماه. تأخرت في العودة من عند السيد هوارث لأنني حاولت ان اساعده في تهيئة طعامه. . . فهو لا خبرة له في ذلك.

- هذا ما بدا لي من نوع المآكل التي اشتراها.

وازدادت رغبة روبن في معرفة السر الكامن وراء جهل هذا الرجل تدبير شؤونه المنزلية، على الرغم من انه اشرف على الأربعين من العمر.

كان اليوم التالي يوم عمل مرهق في المكتبة، ففيه كانت تقام السوق العمومية الاسبوعية، مما زاد في نزول الناس الى المدينة للتبضع والدخول الى المكتبة. ولذلك سرت روبن عندما حان وقت تناول القهوة، غير انها شعرت بالانقباض حين وجدت سلمى وفتاة اخرى في الغرفة تتناولان القهوة ايضاً.

وبادرتها سلمى الى السؤال قائلة:

- هل حضر للقائك الليلة الماضية؟

وودت روبن لو ان الفتاة الأخرى لم تكن كسلمى مهتمة كل هذا الاهتمام بشؤونها الغرامية.

وأجابتها قائلة بلهجة جافة:

- كلا. لم يحضر.

وفيما هي تسكب لنفسها فنجان قهوة قالت لها سلمى:

- اذن، ابحثي عن رجل آخر.

وتمنت روبن لو كان الأمر بمثل هذه السهولة. فهي لم تكن تستطيع ان تنسى ريك هوارث على الرغم من تصرفه الفظ معها.

وبعد ان انتهت من تناول القهوة، وجدت ان العمل في المكتبة لا يزال قائماً على قدم وساق. فنقلها السيد ليفن مدير المكتبة من الجلوس وراء طاولة الاستقبال الى ترتيب الكتب غير الروائية على الرفوف. وفيما هي تفعل ذلك وقع كتاب ضخم على اصابع قدمها، فصرخت متوجعة وهي تعيده الى مكانه على الرف.

فقالت لها سلمى التي كانت واقفة وراءها:

- ماذا جرى؟ هل تألمت الى هذا الحد؟

- نعم.

وشتمت مؤلف الكتاب اوليفر بندلتون.

فقالت لها سلمى بصوت خافت:

- ما لك وله الآن... فهو هنا!

- من ؟ اوليفر بندلتون؟

- لا يا عزيزتي... اعني صاحبك!

- صاحبي؟

- نعم. ها هو يسأل عنك قسم الاستعلامات.

وتطلعت روبن فاذا بريك هوارث، بقامته الفارعة وملامحه اللامبالية، امام قسم الاستعلامات.

٣- ربما يتصرف هكذا لأن في حياته امرأة أخرى. أين منها فتاة مراهقة مثلها في الثامنة عشرة، ولا خبرة لها؟

لم تكن روبن تتوقع، بعد الوداع الجاف القاسي الذي ودعها به ريك، ان يريد ان يراها مرة أخرى. كان وداعه هذا أقرب ما يكون الى الطرد.

ولكنها فوجئت بمجيئه الى المكتبة في اليوم التالي. ووقفت سلمى على مقربة منهما تصغي الى حديثهما وهي تتظاهر بأنها منهمكة في ترتيب رفوف الكتب أمامها. شعرت روبن بالارتباك وهي تستقبل ريك كأنه بالفعل صاحبها لئلا ينفضح أمرها لسلمى. ولاحظ ريك هذا الارتباك ودهش لاستقبالها الحميم له. وأدرك ان في الأمر سراً بينها وبين زميلتها فلم يشأ ان يحرج موقفها، فقال لها:

- سأنتظرك حتى تنتهي من عملك، فأنت تستحقين الانتظار.

وكان في كلامه هذا شيء من التهكم.

فصعد الاحمرار الى وجنتي روبن وقالت له:

- لا يمكنك ان تنتظرني هنا. سألتقيك في المقهى خارج المكتبة، بعد نحو نصف ساعة.

وامسكت قلبها في يدها بانتظار جوابه.

- لا بأس.

قال ذلك وخرج من المكتبة.

فتنفست روبن الصعداء. لم يكن لريك الحق في ان يتصرف هكذا، ومع ذلك فانه ساعدها في التغلب على قلقها. ولكنها شكت

في انه سينتظرها في المقهى، فهو انما وعدها بذلك لئلا تشمت بها سلمى. ولذلك شعرت نحوه بعرفان الجميل، وعزمت ان تذهب الى منزله تلك الليلة لتعرب له عن شعورها هذا.

وهنا اقتربت منها سلمى قائلة:

- حسناً فعلت. هذا الرجل رائع حقاً.

وبدا ريك وسيماً جداً ذلك اليوم، بهندامه الأنيق وثيابه المرتبة على غير عادة. كان شعره لا يزال طويلاً، ولكنه لم يكن يغطي شيئاً من وجهه المشرق.

وتابعت سلمى كلامها قائلة لروبن:

- ليتني أحظى برجل كهذا... هل تظنين ان له أخاً مثله؟

- لا أدري... فنحن لم نتوصل بعد الى الحديث عن أفراد عائلته.

- مع رجل كهذا لا حاجة لك لمعرفة أي شيء آخر!

ولم يرق هذا الكلام لروبن، فابتسمت سلمى وتابعت قائلة:

- هذا الرجل من النوع الذي لا يجلس بقربك ويكتفي بأن يمسك يدك، أليس كذلك؟

وكانت سلمى على حق. فريك هوارث لم يغازلها قبل ان يشدها اليه ويعانقها عناق الرجل المجرب الذي لم يعد يجد أي مبرر للمقدمات وتضييع الوقت.

وعادت روبن الى عملها. كان عليها ان ترتب رفوف الكتب الفنية، فقالت وهي تلقي نظرة على السيد ليفن:

- لنعد كلنا الى العمل!

ولم تستطع التركيز تماماً على عملها. كانت شاردة الذهن تفكر في ريك وسبب مجيئه الى المكتبة. فهل جاء لاستعارة كتاب؟ ولكنه خرج دون ان يفعل. ام هل جاء للقائها؟ كلا، والا لما كان اندهش لرؤيتها في المكتبة. وعلى كل حال، فستسأله الليلة عن سبب مجيئه، هذا اذا لم يلتق بها في المقهى كما تواعدا.

ولما حان موعد تناول طعام الغداء، ادركت ان عليها ان تخرج الى تناوله خارج المكتبة، لا في غرفة المستخدمين كما جرت العادة. وذلك لئلا تثير شكوك سلمى.

وبعدما خرجت خطر لها، حباً للاستطلاع، ان تمر بالمقهى حيث تواعدت على لقاء ريك. وما ان اقتربت من رصيف المقهى حيث كان الازدحام شديداً في مثل تلك الساعة، حتى سمعت ريك يقول لها:

- دعينا نذهب من هنا في الحال.

فتطلعت اليه بدهشة، وكان وقف بجانبها، وصاحت:

- ريك!

فأجابها قائلاً من دون انفعال:

- طلبت مني ان انتظرك هنا، فنزلت عند طلبك.

- ولكني لم أكن جادة في هذا الطلب...

- أعرف ذلك، يا حبيبتي. وحينما نذهب من هنا يمكنك ان تشرحي لي كيف انك لم تكوني جادة في طلبك. والآن اذا كان جسمك الغض يتساءل أين تجدين له غذاء، فيجب ان تشاركيني هذا...

ومد يده الى كيس من الورق وأخرج منه زجاجتين من العصير وسندويشتين وقطعتين من حلوى الشوكولا.

فصاحت بدهشة وهي تخفي سرورها برفقته ذلك النهار:

- ما هذا؟

وامسكها بذراعها وسار بها الى زقاق فرعي، حيث أوقف سيارته الفخمة. فلما صعدا اليها جلست روبن على المقعد الوثير، وهي تبدو كقطة أعطيت صحناً من الحليب. وقالت لريك:

- هناك حديقة على مقربة من هنا.

- الطعام للأكل لا لاطعام البجع.

وادار محرك السيارة وانطلق ببطء. وشعرت روبن بالسعادة وهي

تجلس الى جانبه وترمقه بنظراتها من حين الى آخر. كان مميزاً في حركاته وسكناته المهذبة الراقية. حتى هندامه البسيط لم يكن يخفي طابعه السلطوي وثقته بنفسه وبما يريد.

وقال لها بدعابة لا تخلو من السخرية:

- انني اتناول طعامي هذه الأيام، فلا تخافي ان آكلك. اذن، يمكنك ان تتوقفي عن النظر الي بقلق واضطراب...

- لم أكن أفعل ذلك... وأنا لست خائفة من شيء.

- نعم، كنت تفعلين. وربما انت على حق بعد الذي جرى بيننا ليلة امس.

- أفضل ان لا نتحدث في هذا الموضوع!

ومد ريك يده ووضعها على ركبتها، فأحست بحرارتها على بشرتها الطرية الناعمة.

- علينا ان نتحدث في هذا الموضوع... ولماذا لا؟

- ليس فيه ما يستحق الحديث.

- كيف لا؟ أما عانقتك؟

- وما الغرابة في ذلك؟ عانقني غيرك من قبل.

- صحيح؟

- نعم، وان لم أكن خبيرة مثلك في هذا المضمار.

فقهقه ضاحكاً بخشونة:

- أعرف ذلك...

- ولكن هذا لا يسمح لك بالاعتزاز والافتخار!

وهنا أوقف ريك السيارة الى جانب الرصيف قرب الحديقة، ثم حول وجهه نحوها وحدق اليها قائلاً:

- أنا لا اعتز ولا افتخر... انني رجل عملي، لا اكثر ولا أقل.

- عملي؟

- نعم عملي... ماذا تريدين من رجل كهل مثلي!

- كهل؟ هذا منتهى السخافة.

وقهقهت ضاحكة، فابتسم ريك قائلاً:

- ربما أنا سخيف، ولكن...

ولم يكمل عبارته، وآثر ان يمسك بيدها وهما يسيران وسط الحديقة في اتجاه بركة الماء.

وقالت له:

- ماذا كنت تفعل في المكتبة هذا الصباح؟

- كنت افتش عن كتاب، فلم اجده.

ورمقها بنظرة تأنيب حين رآها تطعم البجع نصف قطعة السندويش التي في يدها.

فقالت له:

- لا تقلق، لن أطعمها أكثر من ذلك.

وهنا مر بهما رجل وامرأته وهما متقدمان في السن، فقال لها ريك:

- هل يظنان انك ابنتي؟

- اذن، برهن على انك لست والدي!

فقطب حاجبيه وأجاب متسائلاً:

- هل تدعينني لمعانقتك الآن؟

- نعم...

- يا لك من فتاة وقحة!

- وماذا بعد؟

- لا شيء. سألبي دعوتك.

واخذها بين ذراعيه وراح يعانقها ويداعب شعرها المرسل على كتفيها. وكان هذه المرة اكثر ترفقاً وحناناً منه في المرة السابقة.

ثم ابتعد عنها وهو يحدق اليها ويتأملها بعينيه الرماديتين المليئتين بالرغبة وقال لها مازحاً:

- هل هذا يرضيك يا سيدتي؟

- كان بامكانك ان تفعل أفضل مما فعلت.

- نعم، ولكن ليس في حديقة عامة!

فتظاهرت بعدم المبالاة وهي تجيب قائلة:

- قد تكون على حق.

فنهض ريك من مقعده وانهضها معه. وسارا معاً الى صندوق النفايات، حيث طرحا نفاية طعامهما.

وقال لها ريك:

- لا تسأليني مرة اخرى ان اعانقك... فمن الصعوبة ان لا أجيبك الى طلبك.

فرمقته بنظرة بريئة وقالت:

- كنت أريد فقط ان أظهر للزوجين المتقدمين في السن انك لست والدي...

- وفي ذلك نجحت نجاحاً باهراً. ولكن عليك الآن ان تخبريني عن سرّ استقبالك لي ذلك الاستقبال الحميم في المكتبة. أيكون انك اخبرت زميلتك التي كانت واقفة هناك على مقربة منا ان بيني وبينك علاقة حب وغرام؟

وصعد الاحمرار الى وجه روبن، وقالت بلهجة ظهر فيها الشعور بالذنب:

- ارجوك... دعنا من هذا الحديث الآن.

- كيف ذلك وقد جئت للقائك لهذا الغرض؟

- أهذا الغرض فقط جئت للقائي؟

- وهل كنت طلبت اللقاء بي لو لم يكن هناك سرّ يتعلق بي بينك وبين زميلتك؟

وادركت روبن وهي تنظر الى وجهه الذي بدأ يتجهم غضباً ان لا بد لها من الخوض في الموضوع بكل صراحة واقرار بالذنب، فقالت:

- أنا آسفة. كان علي ان أدعي أمام زميلتي سلمى بأن لي حبيباً...

- ولماذا أنا؟

فعضت على شفتها السفلى وهي تجيب قائلة:

- لم أكن أعرف أحداً سواك!

- وبكلمة أخرى، وجدتني موضوعاً قابلاً يسهل استغلاله، خصوصاً لأني غريب في هذا الجوار ولا يمكن لسلمى ان تستقصي لتعرف الحقيقة... أليس كذلك؟

- نعم هذا صحيح.

- ولكن أريد ان أعرف لماذا لا يكون لك حبيب بالفعل؟

- لا لسبب ما... هذا هو الواقع.

- ألم يكن لك حبيب في حياتك من قبل؟

- كلا!

- وما المانع؟

فثار غضبها وصاحت به قائلة:

- هل هذه جريمة... ان لا يكون لي صديق أعاشره؟

- ربما...

- ربما... هل انت جاد في ما تقول؟

- كل ما في الأمر انني اتساءل عن السبب... أيكون انك ترتعبين من ان يمتلك عاطفتك رجل؟

فاضطربت لهذا الكلام الحميم، على الرغم من انها بدأت تشعر نحو ريك، خصوصاً في الساعة الأخيرة، بشيء من الألفة والمودة.

وشعر ريك باضطرابها، ولكنه ردد سؤاله لها، فاجابت قائلة:

- لا، ليس هذا هو السبب. واذا شئت ان تعرف السبب الحقيقي فهو ان الحب يضجرني!

- وكيف تعرفين انه يضجرك وانت لم تجربيه بعد كما تقولين؟

فاجابت وهي تدير ظهرها متجهة نحو السيارة:

- أنا لم أقل اني لم اجربه!

وزادت خيبتها حين لم يحاول ريك ان يسرع للحاق بها، بل آثر السير ببطء، حتى انه وصل الى السيارة بعدها ببضع دقائق.

وقالت له وهو يفتح باب السيارة:

- يجب ان اعود في الحال الى المكتبة لاستئناف عملي.
- لديك عشر دقائق بعد، وهي كافية لوصولك.
في الطريق اخذت روبن ترمقه بين الحين والآخر بنظرة استنكار. وتساءلت لماذا كان صامتاً لا يتفوه بكلمة. أيكون انه فقد الاهتمام بها، ولم تعد تعني له شيئاً بسبب كلامها وتصرفها الأحمق؟
وفجأة التفت نحوها قائلاً:
- ماذا لو ساعدتني في تهيئة الطعام هذا المساء؟
فسرها انه اراد ان يراها ثانية، فلم تشأ ان ترفض.
- يسعدني ذلك، مع العلم انني لا أجيد الطهي.
فانبسطت أسارير وجهه وهو يقول لها:
- لا بد الا ان تكوني ورثت شيئاً من مواهب والدتك في هذا المجال!
- يا ليت!
- اذن، بامكاننا شراء بعض الطعام الصيني الجاهز. هل تحبين الطعام الصيني؟
- أحبه كثيراً جداً!
وكانت تبالغ في كلامها هذا، ولكن كل ما كان يهمها هو ان تكون برفقته.
- وهل اذهب لآتي بك هذا المساء، ام تفضلين ان تأتي بنفسك؟
- سآتي بنفسي.
قالت ذلك لأن والدها في المرات السابقة، حين يأتي احد الى البيت لاصطحابها الى السهرة، كان يثقله بالاسئلة الى درجة تجعله لا يعيد الكرة.
ونزل ريك، حين وصلا الى المكتبة، وفتح باب السيارة لها مودعاً على أمل اللقاء بها ذلك المساء.
وقالت له:
- سآتي اليك في نحو الساعة السابعة.

- أنا في انتظارك.
قال ذلك وصعد الى السيارة وانطلق بها في وسط الزحام.
ووقفت روبن على الرصيف بعض الوقت وهي تحس في اعماقها انها بدأت تميل الى ريك هوارث كما لم تمل الى أي فتى سواه. فهل يا ترى لأنه لم يكن «فتى»، بل رجلاً خبيراً بشؤون الحياة، وعلى الأخص النساء؟
واستقبلتها سلمى قائلة قبل ان تدخل المكتبة:
- أهلاً بك... حان وقت العودة الى العمل.
وخجلت روبن من نفسها وهي واقفة هناك تحدق في الفراغ ولا تعرف ماذا تفعل بعد وداع ريك لها.
- كنت واقفة أفكر.
فضحكت سلمى وهي تقول:
- الحق معك. ليتني صادفته قبلك. يا له من رجل!
ولعل ذلك هو لسان حال ريك ايضاً، لأن سلمى فتاة خبيرة في فنون العشق والغرام. فهي لا تتردد ولا تقبل بأي رادع يردعها عن اطلاق العنان لعواطفها ورغباتها الجامحة. وفضلاً عن ذلك، فهي تكبرها بأربع سنوات ولا يمكن لريك ان يعتبرها «طفلة».
وقالت لسلمى باستياء:
- الحياة قسمة ونصيب... والمهم الآن هو ان ريك صاحبي.
وشعرت بالحياء حالما تلفظت بهذا الكلام، فاعتذرت لسلمى قائلة:
- أنا آسفة يا سلمى. لم أقصد أن أكون قليلة التهذيب معك.
- لا بأس!
وسمعت روبن صوتاً يناديها قائلاً:
- ايتها الآنسة كاسل... أتسمحين لي بكلمة؟
وكان ذلك صوت السيد ليفن. فابتعدت سلمى، فيما أقبل السيد ليفن يقول لروبن بلهجة صارمة:

- أنا، يا آنسة كاسل، لست من الذين يشجعون اللقاءات الغرامية هنا في المكتبة. وهذا الذي بدر منك اليوم في داخل المكتبة ثم على رصيفها لا يمكن ان اجد له عذراً...

فصعد الاحمرار الى وجنتي روبن وحاولت ان تتكلم، ولكنه لم يفسح لها في المجال، بل تابع قائلاً:

- لا لزوم للجدل. وأحرصي على عدم تكرار ذلك بعد اليوم.

وحين اخبرت سلمى بما جرى، قالت لها:

- اما أخبرتك ان السيد ليفن لم يكن مراهقاً في حياته؟

وبقي الاستياء على وجه السيد ليفن طول النهار. وكم شعرت روبن بالارتياح حين عادت الى البيت ذلك المساء.

وعندما اخبرت والديها بأنها ستتناول العشاء مع ريك قالت لها والدتها:

- انك تجتمعين اليه كثيراً يا عزيزتي!

- ولكن، ألست معجبة به؟

- ليس هذا هو المهم...

وهنا تدخل والدها قائلاً:

- ما تحاول والدتك ان تقوله هو سرعة انتقالك من الاعجاب بالفتيان الى التعلق برجل يكبرك سناً بكثير...

فالتفتت اليه زوجته صائحة:

- بيتر!

فبادرها قائلاً:

- أنا لست معجباً بالرجل...

- لأنك لا تعرفه يا بيتر. فهو رجل لطيف ومهذب كما بدا لي عند مجيئه الى الحانوت.

- هذا لا يدل على شيء. كلهم يبدون اللطف والتهذيب عند دخول الحانوت، فليس بالامكان معرفة الناس على حقيقتهم بمثل هذه السهولة.

ثم خاطب روبن قائلاً:

- أرى ان لا تجتمعي اليه كثيراً يا روبن!

- هذه المرة الثالثة التي اجتمع اليه فيها...

- نعم، ولكن في مدة يومين. وأنا متأكد انك ستأتين الي قريباً شاكية منه...

ولم يرق هذا الكلام لروبن ولا لوالدتها، فقال لتهدئتهما:

- حسناً... حسناً. ربما انا ابالغ في موقفي هذا... ولكن ماذا نعرف عن الرجل؟ جاء الى هنا منذ ثلاثة أسابيع لاستئجار اورشرد هاوس، و...

فقاطعته روبن قائلة:

- لاستئجاره؟ فقط لاستئجاره؟

- هكذا اخبرتني السيدة ريد، وهي تعرف كل شيء. وفضلاً عن ذلك، فمراسلاته التي ترد اليه بواسطة البريد هنا تشير الى ان عنوانه مؤقت... ألم تعلمي ذلك يا روبن؟

- كلا...

- اذن، ماذا تعرفين عنه؟

- أعرف شيئاً واحداً، وهذا كاف. وهو اني اميل اليه بكل قلبي. وميلي هذا ليس مجرد عاطفة عابرة. ومن يدري؟ فقد يتحول الى حب حقيقي، شرط ان يتركنا الآخرون وشأننا.

واتجهت نحو الباب وخرجت راكضة من البيت لا تلوي على شيء. وحين بلغت اورشرد هاوس لم تنتظر حتى تطرق الباب، بل دخلت مسرعة الى المطبخ فلم تجد احداً. وسمعت صوت الآلة الكاتبة، فتذكرت انها رأتها مرة في غرفة نوم ريك، فصعدت الى الغرفة بسرعة فائقة، وهي تصيح:

- ريك! ريك!

وفتحت باب الغرفة واندفعت الى الداخل، حيث وجدت ريك جالساً وراء الآلة الكاتبة، فارتمت في حضنه تشهق بالبكاء.

فضمها بذراعيه قائلاً:
- ما الخبر؟
- لا شيء الآن... فقط ضمني بذراعيك جيداً.
وألقت رأسها على صدره، واضعة خدها الناعم على شعر صدره الخشن. فامسكها بذراعيها وابعدها عنه قائلاً:
- يجب ان تخبريني ماذا جرى، لكي استطيع ان اساعدك!
فتطلعت اليه باكية وهي تقول:
- لا أريد أية مساعدة. كل ما أريده هو ان تعانقني يا ريك!
- لن أفعل شيئاً قبل ان تخبريني ماذا دهاك...
فأجابت قائلة وهي تمسح دموعها:
- أولاً أمرني السيد ليفن مدير المكتبة إن لا استقبلك في المكتبة، وثانياً أشار علي والدي ان لا... ان لا...
فشد على كتفيها بيديه الاثنتين وهو يصيح:
- اخبريني ماذا قال لك؟
- قال شيئاً خطيراً... خطيراً جداً.
- هيا... اخبريني يا روبن!
- قال... قال... آه يا ريك، قال اننا، أنا وانت، بعد مرور نحو شهرين...
فأكمل ريك الجملة قائلاً:
- سنقع في مأزق سببه علاقتنا، أليس كذلك؟
- نعم... فهالني هذا الأمر!
- لا تقلقي يا روبن... فلا نيّة لي ان أقيم أية علاقة معك.
- ولكن قد لا تصدق نيتك رغماً عنك.
- لا، لن تجمح بي العاطفة الى هذا الحد. فلي قدرة على السيطرة عل عاطفتي.
- وكيف تضمن ذلك؟
- اضمنه. فالخبرة علمتني منذ سنوات كيف أضبط نوازعي. فلم

أعد كالمراهق الذي تستبد به الرغبة فيستسلم اليها خانعاً ذليلاً!
- انك تتصرف كما لو ان الامر على مثل هذه البساطة.
- وهو كذلك...
- ليتني أستطيع التصديق!
- لا استغرب موقفك هذا. فانت لا تزالين تعتقدين ان الغرائز تتحكم في الانسان ولا قدرة له على السيطرة عليها. في هذا بعض الصحة، لا الصحة كلها. فهناك شذوذ عن كل قاعدة... أليس كذلك؟
- لا ادري، انما هذا لا يريحني ولا يروق لي...
- استغرب هذا منك بعدما اخبرتني هذا النهار ان الحب يضجرك، اما انا فأجده عملية ممتعة حقاً، ولكنني لا أدعها تسيطر علي وتمتلكني.
- هل وقعت في الحب مرة في حياتك؟
- وأنت؟
- كلا. اما انت فيبدو لي من كلامك انك لم تعرف الحب يوماً.
- نعم عرفته. والآن دعينا نخرج من غرفة نومي. فهي ليست المكان الصالح لمثل هذا الحديث.
- ولماذا لا؟ فهو خير مكان في نظري!
فقال بحزم:
- لا، ليس كذلك. فقد أقرر ان ابرهن لك بأن في امكانك التمتع بالحب مع رجل لا تحبينه!
فاحمرت وجنتا روبن خجلاً وقالت:
- كنت تطبع عندما دخلت الغرفة... فهل انت مؤلف؟
- من اخبرك بذلك؟
- لا احد. وانما خطر لي انك لا يمكن ان تكون عاطلاً عن العمل.
فامسكها بذراعها واخذ يدفعها نحو باب الغرفة وهو يقول:

- في هذه اللحظة لست عاطلاً عن العمل، اذ علي ان اعالج موضوع فتاة مراهقة تحشر أنفها في ما لا يعنيها...

- كنت فقط...

- كنت تكثرين من الاسئلة التي لا أريد الاجابة عنها. ويجب ان أؤكد لك ان والدك كان على حق حين اظهر قلقه عليك... فأنت تتعاطفين هكذا مع رجل لم تتعرفي اليه الا من بضعة ايام. والآن تصرين على البقاء معه في غرفة نومه، غير مبالية بما ينتج عن ذلك من مخاطر...

فظهر عليها الاستياء الشديد من كلامه وقالت:

- لم اقصد شيئاً من هذا كله...

ولم تكن روبن صادقة كل الصدق في ادعائها هذا، والا فلماذا ارتمت عند دخولها في احضان ريك من دون حياء ولا خجل؟

- قد لا تقصدين شيئاً من ذلك، ولكنك عرضتني لخطر وقوعي في التجربة. ولو لم يكن ذوقي في النساء لا يستسيغ المراهقات لحدث ما لا تحمد عقباه...

وثارت روبن لهذا الكلام الذي اعتبرته اهانة لها، فقالت بغيظ:

- وذوقي أنا أيضاً لا يستسيغ رجلاً مثلك، بارد العاطفة، ورازحاً تحت وطأة السنين.

وحاول ريك جهده ان يصبر على هذا التحدي السافر، فأخذ يداعب شعرها الاشقر ويقول:

- هدئي من روعك يا صغيرتي... كل هذه العواطف في ليلة واحدة تنهك قواك!

- أنا لا أقبل على الاطلاق ان تخاطبني كطفلة...

- اذن لا تتصرفي كما يتصرف الاطفال!

ونظرت الى وجهه فقرأت في ملامحه المتجهمة ان صبره أخذ ينفد، وخشيت ان يطردها الى خارج البيت كما فعل في المرة الماضية. وقالت له بنبرة هادئة:

- أنا جائعة.

- اذن، فلنخرج ونجلب بعض الطعام، ولا تجعلي كلام والدك يؤثر في مشاعرك كثيراً فهو ينبهك، ومن الخير ان يفعل.

- ولكنك اخبرتني...

فقاطعها قائلاً:

- اخشى عليك من سواي لا مني.

- يا لك من رجل فظ!

- لا، لست فظاً، بل متعقلاً. والآن هيا، فأنا جائع أيضاً.

وفي السيارة التي كانت تتجه بهما نحو المدينة، قالت له روبن:

- لماذا تنفق علي وقتك؟

- ماذا تعنين؟

- أعني اذا كنت لا تنوي ان... ان...

- أقع في حبك. أهذا ما أردت قوله؟

- نعم. وان كنت لا ترغب في ذلك، ففي ماذا ترغب اذن؟

- أرغب في رفقتك.

- رفقتي؟

- ولماذا لا؟ فأنا وحيد منذ بضعة أشهر. فلقائي بك، وتحدثي اليك، جعلاني ادرك انني بأمس الحاجة الى رفيق من حين الى آخر. هذا فضلاً عن انك انت التي اقترحت لقاءنا هذا الصباح.

- لم أكن أتوقع مجيئك!

- آسف. كان عليك ان تجعلي ذلك واضحاً. فلو فعلت لتناسينا كل شيء وانتهت علاقتنا.

وكانت روبن تتصرف بطيش، ولم يخف عليها ذلك. ولو انه اوقف السيارة وأمرها بالخروج منها، لما كان عليه أي حق. ولذلك بادرت الى الاعتذار قائلة:

- أرجو ان تغفر لي، فأنا أسيء التصرف.

- لا شك في ذلك. وعذرك انك تألمت من كلام والدك لك هذا

المساء. وسأحاول ان أذهب الى الحانوت غداً لأطيب خاطره وأؤكد له انني لا أنوي بابنته شراً.

فاحتجت روبن على الاشارة اليها كابنة، غير ان ريك قال لها بحزم:

- وماذا في ذلك؟ انت تعلمين جيداً ان بامكاني اطلاق العنان لعواطفي، فامتع نفسي بك. ولكن ذلك لا يؤدي بنا الى شيء. ولذلك أفضل ان تكوني صديقة، لا أكثر ولا أقل.

على ان روبن لم تكن تريده صديقاً. فهو رجل وسيم وجذاب وحلو المعشر.

وتابع ريك كلامه قائلاً:

- أما ان تقبليني كصديق والا فلا شيء آخر.

- لا شيء آخر... ربما هذا ما أفضله.

- هذا من حقك. ولكن أعلمي ان كل معروض مهان... كما يقول المثل.

- هذا لا ينطبق علي... أنا لا أعرض نفسي عليك.

- كيف لا؟ ما معنى تصرفك وكلامك اذن؟ أليس في الجوار فتيان من جيلك، حتى ترتمي بين ذراعي رجل غريب في سبيل الحصول على الاهتمام الذي تتشوقين اليه؟

- أنا لا أفعل ذلك.

- وماذا تفعلين اذن؟

- اذا كان هذا هو رأيك في، فما عليك الا ان تسقطني من حسابك وتتخلى عني.

- ربما من الخير ان افعل.

- اذن، لماذا تتردد؟

- روبن!

- انت على حق. كان علي ان لا أختارك من بين كل الفتيان الذين في الجوار.

فتجهم وجه ريك وقال غاضباً:

- يا لك من فتاة رعناء... لماذا لا تستعملين عقلك؟

- وانت يا لك من رجل فظ!

وحاول ريك ان يجادلها بتعقل، ولكنها صاحت به:

- أوقف هذه السيارة ودعني أخرج...

وأوقف ريك السيارة والتفت اليها بغيظ قائلاً:

- لم يعد لي قدرة على احتمالك...

شدها اليه بعنف وضمها، واخذ يعانقها كما لم يعانق امرأة أخرى في حياته.

وتجاوبت روبن مع عناقه الى ان ارعبها بشراسته، فتملصت من بين ذراعيه بصعوبة واخذت تحدق اليه بنظرات خائفة.

كانت ملامح وجهه تنم عن انفعال شديد، وعروق عنقه متشنجة تنبض نبضاً سريعاً، وعيناه الرماديتان مشوبتين ببعض الاحمرار فقال لها:

- أهذا ما تريدين؟ فاذا كان الأمر كذلك، فليس ما فعلته الآن سوى قطرة من بحر...

وفتحت روبن باب السيارة وهي ترتعش. ثم التفتت اليه قائلة:

- آسفة لأنني اقتربت اليك اكثر مما يجب.

- وأنا كذلك.

وادار محرك السيارة وانطلق بها في سرعة فائقة.

ووجدت روبن طريقها الى البيت وهي كئيبة بائسة. وادركت انها اساءت التصرف كما لو كانت فتاة طائشة حقاً. فريك هوارث لم يكن ينظر اليها الا كذلك، وكان من حقه ان يفعل. فهي لم تكن، لسذاجتها وصغر سنها، ندّاً له في شؤون الحب والغرام. ولعل في حياته امرأة، ربما تكون زوجته، أين منها فتاة مراهقة، مثلها في الثامنة عشرة من العمر؟

وكان يريدها كصديقة، وهي لا يمكن ان تقبل بذلك. فهو في

نظرها على جانب كبير من الرجولة الحقة والجاذبية، بحيث لا يمكن لها ان تكتفي منه بصداقة بريئة.

على ان ذلك كله لم يعد وارداً الآن بعد ان رفضها ورفض كل ما بذلته من جهد لاظهار تعلقها به ورغبتها في اقامة علاقة طبيعية معه.

وعندما وصلت الى البيت، وجدت والدتها في غرفة الجلوس. وقالت لها والدتها بشيء من اللهفة:

- هل أنت بخير يا ابنتي؟

- نعم، شكراً يا أماه!

- وماذا بخصوص ما قاله لك والدك هذا المساء؟

- ليس ذلك مهماً يا اماه.

- كيف لا يا روبن؟ فوالدك قلق عليك كثيراً، ومن حقه ان يقلق لأنه يستطيع ان يرى المخاطر التي قد تتعرض لها كل فتاة مثلك.

- يجب ان لا يقلق بعد الآن... فأنا لن اجتمع بالسيد هوارث مرة أخرى.

فظهر الاهتمام على وجه والدتها وهي تسألها قائلة:

- هل يعود موقفك هذا الى نصيحة والدك لك؟

فأجابت بحزم:

- كلا، لا علاقة له بهذه النصيحة.

٤- أدركت روبن انها وقعت في غرام رجل تكاد لا تعرف عنه شيئاً ولا يبادلها نفس الشعور. الا انه يريدها، وهذا يكفي كبداية...

وشاهدت روبن سيارة ريك مراراً في الأسابيع القليلة التالية. ولكن ريك، لحسن الطالع، كان يتجاهلها عن قصد او عن غير قصد.

ولم يدم حسن الطالع طويلا. ففي أحد الأيام دخل الحانوت، فوجد روبن هناك تساعد والدتها، لأن ذلك اليوم كان يوم عطلتها من العمل. واستغرب وجودها هناك، لأول وهلة، ولكنه سيطر على عاطفته في الحال، وهي تقول له بلهجة جافة:

- صباح الخير يا سيد هوارث. انا تحت تصرفك.

- بريدي. جئت في طلب بريدي...

فأخرجت روبن مغلفاً كبيراً وناولته اياه. وتأملته، فوجدت ان هندامه لا يزال كما كان، وكذلك ملامحه التي تنم عن شيء من الهزال. أيكون انه عاد الى الاكتفاء بقليل من الطعام؟ هذا مع علمها ان والدتها، حين لاحظت انه امتنع عن شراء أي غذاء من الحانوت في المدة الأخيرة، أخذت ترسل اليه مع بلي شيئاً من الطعام الذي كانت تطهيه في البيت. فكان يعيد الأوعية فارغة، فهل كان يأكل ما فيها بالفعل يا ترى؟

وتضايقت روبن من اهتمامها هذا بالرجل الذي رفضها، خصوصاً وانه اعلن لها مراراً عن استيائه من تدخلها في شؤونه الخاصة.

وفتح ريك المغلف وهي تنظر اليه، فوجد فيه عدة مغلفات صغيرة. وتجهم وجهه حين رأى مغلفاً أزرق اللون تفوح منه رائحة

العطر. ولما أظهر استياءه، قالت له روبن:

- ما الخبر؟ هل عرفت بوجودك هنا؟

فحدق اليها بعينين باردتين وقال بانفعال:

- هي؟

- نعم. زوجتك!

- لا زوجة لي.

- اذن، صديقتك.

قالت ذلك وكأنها لم تكن تشعر بأي اهتمام بالأمر. اما في الواقع فانها كانت تهتم كثيراً، ولو بعد عدة أسابيع من الفراق. فهي لم تستطع ان تنسى ما يثيره فيها من مشاعر تزيد في خفقان قلبها وحرارة الدم في عروقها.

وتطلع ريك اليها، وهو لا يزال يتأمل المغلف الأزرق، وقال بعصبية ظاهرة:

- ولا صديقة لي ايضا.

ووضع المغلف في جيب سرواله وتمتم قائلا:

- روبن!

- ارجوك يا سيد هوارث. يجب ان أنصرف الى عملي.

وكانت الآنسة ستيفنز دخلت الحانوت ووقفت تنتظر. فقالت رداً على كلام روبن:

- لا بأس يا عزيزتي. كنت واقفة اسأل نفسي أي «شامبو» اشتري لشعري...

- ربما استطيع ان أساعدك في اختيار الأفضل.

وكانت روبن تعلم انه لم يكن بين كل انواع الشامبو الموجودة في الحانوت ما يصلح لشعر هذه السيدة العجوز.

ومع ذلك، فانها اختارت نوع الشامبو الذي تستعمله دائماً. وكان ريك لا يزال واقفاً في مكانه يراقبها.

ولكنه بعد بضع دقائق اتجه نحو الباب وخرج من الحانوت

بغضب شديد. وتنفست روبن الصعداء وركزت اهتمامها كله على الآنسة ستيفنز ومتطلباتها التي كان أهم شيء فيها شراء الطعام لقطتيها.

وقالت الآنسة ستيفنز معتذرة:

- آمل ان لا أكون أخذت دور السيد هوارث.

- لا. لا. انه جاء فقط لأخذ بريده، فأعطيته اياه.

- ظننت انه صديق لك.

- ليس تماماً.

ثم انصرفت الى العلب التي كانت تكدسها قبل دخول ريك الى الحانوت. وقالت الآنسة ستيفنز:

- اخبرتني السيدة ريد انك أنت والسيد هوارث... اعني انك قمت بزيارته في منزله.

فصعد الاحمرار الى وجه روبن، وتذكرت ان السيدة ريد المشهورة بحبها للشائعات تسكن في منزل مجاور لمنزل الآنسة ستيفنز. فهي تعرف كل ما يجري في القرية ولا يغمض لها جفن الا بعد ان تذيع خبره هنا وهناك.

وتابعت الآنسة ستيفنز كلامها قائلة:

- انا لا أصغي الى كل ما تشيعه سارة ريد، لأن معظمه سخيف لا قيمة له. وأنا انما ذكرت لك ما اخبرتني به عن زيارتك للسيد هوارث في منزله، لأنني رأيتك بأم عيني تغادرين منزله في احدى الليالي، منذ بضعة أسابيع.

- أرسلتني اليه والدتي ببعض الطعام، لاعتقادها انه لا يغذي نفسه جيداً.

- هذا ما اعتقده أنا ايضا. وعلى كل حال فهو رجل وسيم، ويبدو لي انه بحاجة الى زوجة تعتني بأموره.

- من يدري؟ فقد يكون له زوجة!

قالت روبن هذا الكلام وهي تشعر بالارتياح لأن ريك انكر انه متزوج، وذلك على الرغم من انه أوضح لها كل الوضوح، بكلامه

وتصرفاته، انه لا يريدها الا صديقة لا حبيبة.

وغادرت الآنسة ستيفنز الحانوت دون ان تستمر في هذا الحديث، لأنها كانت تستعجل العودة الى قطتيها.

وفي المساء، بعد ان فرغت روبن من تناول طعام العشاء، طلبت اليها والدتها ان تأخذ الى السيد هوارث عشاءه، لأن بلي سيتأخر في العودة من المدرسة. وكان بلي يقوم بهذه المهمة في الأسابيع القليلة الماضية.

فقالت لها روبن وهي تغسل الصحون:

- لا أريد ان أذهب اليه يا أماه.

- اسمعي لي يا ابنتي...

- لا أقدر، أرجوك. أنسيت ما جرى بيني وبينه؟

- كيف أنسى شيئاً لم تخبريني به؟

- نعم، لم أخبرك ما جرى بالتفصيل... يكفي الآن ان أقول اني لا أستطيع ان أواجهه مرة أخرى... بعد ان أظهرت حبي له بطريقة طائشة احرجته.

ولم تكن روبن لتعترف بذلك، لو لم تدرك انها نشأت على عدم استطاعتها اخفاء شعورها الحقيقي واللجوء الى المناورة، وخصوصاً مع ريك الذي كانت تميل اليه ميلا شديداً. فوالداها حرصا منذ طفولتها على ان تقول وتفعل كل شيء بصدق وبدون موارية، ولكنها لما جربت ذلك مع ريك فشلت فشلا ذريعاً. ولذلك عزمت ان تسلك، من الآن فصاعداً مع ريك طريق الظهور بمظهر اللامبالاة اذا كان هذا ما يريده.

وقالت لها والدتها:

- هل كان الأمر سيئاً الى هذا الحد؟

- بل أسوأ بكثير يا أماه. ولذلك لا يمكنني ان أذهب اليه، فاعذريني.

- كما تشائين يا ابنتي. اذن، سأمر به في طريقي الى السيدة بلويت لأني وعدتها ان أذهب اليها الليلة لآتي بقطعة القماش التي طلبت مني

ان أخيطها لحفيدتها الصغيرة.

وكانت والدتها تساعد تلك المرأة المسنة في أمور كهذه، ذلك لأن بصرها ضعف كثيراً في المدة الأخيرة.

ولم يكن الوقت متأخراً حين عادت والدتها الى البيت تحمل قطعة القماش في يدها.

فقالت لها روبن:

- هل قضيت وقتاً ممتعاً؟

- يشق عليّ ان أرى ماذا تفعل الشيخوخة بالانسان. فأنا أتذكر كيف كانت السيدة بلويت تضج بالحياة يوم انتقلنا الى هذه القرية. اما الآن، فتكاد لا تقوى على النهوض من كرسيها.

ولم يكن سؤال روبن لوالدتها يستهدف السيدة بلويت، على الرغم من المحبة التي تكنها لها، بل كان في الواقع يستهدف ريك، مما يدل على انها لا تزال تفكر فيه.

ولعل والدتها أدركت ذلك، فقالت لها:

- السيد هوارث ليس على ما يرام، كما بدا لي.

- كيف ذلك؟

- هذا متوقع. فالمنزل الذي يسكنه ليس المكان المثالي الذي يلائمه. فهو رطب، ولا أظن ان السيد هوارث لديه وسيلة لتدفئته.

- هناك موقدة في المنزل.

- أصحيح هذا يا ابنتي؟

- أنا متأكدة من ذلك، لأني رأيتها بأم عيني. وماذا قال لك؟

- سألني عنك. هل هذا ما تريدين ان تعرفيه؟

- سألك عني؟

- نعم، وبدا لي انه حريص على عودتك الى زيارته. وذكر لي انه وقع بينكما خلاف.

- هل ذكر لك سبب هذا الخلاف؟

- كلا. وانما اكتفى بالقول انه خلاف تافه.

تافه؟ ليته كان كذلك. ولكن قد يكون في نظره تافهاً. وكلامه لوالدتها يدل على انه نسيه، فهل نسي ايضا معاملتها الفظة له ذلك الصباح؟

وتابعت والدتها قائلة:

ـ وهو يطلب منك ان تذهبي الى زيارته غداً، اذا كان لديك متسع من الوقت.

ـ قد أذهب الى زيارته غداً مساء.

ـ حسناً تفعلين. وأظنه يسر بذلك. فهو وحيد جداً يا روبن.

ولسوء الطالع انفختت عجلة دراجتها في مساء اليوم التالي وهي عائدة الى البيت من المكتبة. فأغضبها ذلك أشد الغضب لأنها قد تتأخر، فلا يعود بامكانها ان تذهب الى زيارة ريك، خصوصاً وانها كانت على بعد ثلاثة أميال من طرف القرية، والساعة بلغت الثامنة. فاذا سارت على قدميها الى البيت، فهي لن تصل قبل الساعة التاسعة. وأخذت روبن تشتم وتندب حظها.

ومرت بها بضع سيارات. ولم تكن أية واحدة منها تخص أحداً تعرفه. وتساءلت لماذا لم يخرج والدها للبحث عنها، بعد ان تأخرت كل هذا التأخر، وهو من عادته ان يفعل؟ وتذكرت حين التقت مرة مع احدى صديقاتها اثنين من شبان المدينة وقبلتا دعوتهما الى احتساء القهوة معهما. وسرعان ما أقبل والدها فجأة وهو يرغي ويزبد غضباً من شدة القلق عليها لتأخرها في الوصول الى البيت ذلك المساء.

وكانت الساعة جاوزت التاسعة حين دخلت البيت وهي منهوكة القوى. وتعجبت والدتها حين رأتها على هذه الحال، لاسيما حين هيأت لها العشاء ولاحظت انها لم تكن تتناوله بشهية.

وقالت لها وهي مقطبة الجبين:

ـ ظننت انك ذهبت تواً الى عند السيد هوارث.

ـ لا. وكيف لي أن أفعل؟

ـ أعرف انه ليس من عادتك ان تفعلي ذلك. وعلى كل حال فانك عدت الآن.

ـ نعم، ولكن الوقت أصبح متأخراً...

ـ تعنين لزيارة السيد هوارث؟ ولكن في وسعك ان تذهبي غداً.

غير ان روبن لم تكن تريد ان تذهب غداً، بل الآن. ولكن كيف يكون ذلك في تلك الساعة المتأخرة؟ وأنحت باللائمة على الدراجة التي كانت السبب في ذلك.

ـ أظن ان العجلة التي استعرناها من دراجتك انفختت ولم تعد تصلح لشيء.

ـ هذا مؤكد، لأنها عتيقة جداً... والآن، تناولي طعامك يا روبن.

وتناولت روبن طعامها بتردد اكراماً لوالدتها، لا لرغبتها في ذلك.

وقالت لها والدتها:

ـ والدك ذهب الى المدرسة ليشاهد بلي يلعب كرة القدم. فلو كان هنا لذهب يبحث عنك لئلا يكون أصابك مكروه.

توقفت روبن عن الأكل وابتسمت لوالدتها ابتسامة اعتذار وقالت:

ـ يمكنني أن أذهب غداً الى اورشرد هاوس، فلماذا العجلة؟

ـ هذا عين الصواب. وأعتقد ان السيد هوارث سيتفهم سبب عدم ذهابك اليه الليلة، مع انني ذكرت له سابقاً انك قد تجدين متسعاً من الوقت لذلك.

ـ اذن، هو في انتظاري!

ـ لا بأس... وأنصحك يا روبن ان لا ترخي العنان لعواطفك أبداً، خصوصاً مع رجل كهذا. فهو لا يتقبل ذلك، صدقيني.

ـ أهكذا تصرفت مع والدي، فلعبت دور المرأة الصعبة المنال؟

فظهر الحياء على وجه والدتها وهي تجيب قائلة:

ـ المواربة ضرورية بعض الأحيان.

وشعرت روبن، بعد هذا الحديث، بكثير من الارتياح، فانفتحت شهيتها وأكلت قطعة من الحلوى أعدتها والدتها. وسرها ان والدتها وافقت على تأجيل زيارتها لريك الى مساء الغد.

وفي صباح اليوم التالي تأخرت عن موعد مرور الباص الذي يقلها

الى عملها، فاضطر والدها الى نقلها بسيارته. وكانت تلفنت للسيد ليفن تخبره بتأخرها عن الوصول الى المكتبة، ومع ذلك استقبلها عند وصولها بوجه منقبض. ولم تلمه على ذلك، خصوصاً وانها كانت ذلك الاسبوع شاردة الذهن تفكر بريك، فلم تجتهد في عملها كالمعتاد.

وقال لها السيد ليفن:

- يجب ان تبقي في العمل هذا المساء لتعوضي عن تقصيرك في عملك!

وكان هذا يعني لروبن انها لن تستطيع ركوب الباص الى القرية في آخر نقلة يقوم بها في آخر النهار. وحيث ان والدها سيفتح الحانوت الى ساعة متأخرة ذلك اليوم، فانه لن يتمكن من المجيء الى أخذها بسيارته. واذن، بقي عليها ان تسير على قدميها مسافة ثلاثة أميال للوصول الى القرية، وبذلك لن تتمكن من الذهاب الى زيارة ريك، كما كانت الحال في الليلة السابقة.

وصدف ان السماء بدأت تمطر وهي في منتصف الطريق الى القرية، فاشتد أملها في ان يضطر والدها الى لقائها بسيارته.

وتبللت ثيابها من شدة المطر، حتى انها قررت ان تستنجد بأية سيارة تمر في الطريق، على الرغم من ان والدتها حذرتها، منذ حداثتها، ان لا تقبل الركوب في سيارة يقودها رجل غريب لا تعرفه.

وكان هذا التحذير في محله. غير ان والدتها لم تأخذ بعين الاعتبار انها قد تتعرض لخطر الزكام الشديد اذا هي لم تغتنم فرصة مرور أية سيارة يقبل سائقها بأن يتوقف لها.

وفجأة غمرتها أنوار سيارة مقبلة وراءها، ثم ما لبثت ان توقفت. والتفتت اليها روبن من خلال حبال المطر المنهمر، فاذا بها سيارة ريك. فشهقت من هذه المفاجأة وتسمرت في مكانها لا تدري ما تقول او ما تفعل.

ونزل من السيارة وأقبل نحوها صائحاً:

- يا الهي! ماذا تفعلين هنا الآن؟

- ماذا تظن انني أفعل، ألا ترى؟

وأشارت الى ثيابها المبللة بماء المطر. فقال لها وهو يمسك بذراعها:

- هيا اصعدي الى السيارة بسرعة.

وفي دفء السيارة الفخمة، أدركت روبن انها كالفأرة الخارجة من الماء. وكان شعرها مسترسلا الى الوراء، فبان عنقها الجميل مبللا بقطرات المطر. ولم يكن معطفها من النوع الذي يقي جيداً من المطر، فالتصق بجسمها النحيل، بحيث برزت مفاتنه الخفية.

وحاول ريك التخفيف عنها بلطف، ولكنها صاحت به قائلة:

- كفى! هل أنت تخشى ان تبلل ثيابي مقعد سيارتك الفخمة؟ اذا كان الأمر كذلك، فدعني...

- لا. كيف تقولين ذلك؟ فلو كان صحيحاً لما توقفت لك.

- شكراً.

فاستاء ريك من سلوكها وقال:

- ماذا تتوقعين؟ الشفقة؟ كان عليك ان تدركي قبل خروجك من المدينة ان الغيوم معبأة بالمطر!

وكان ريك على حق. غير انها لم تهتم بالطقس قبل خروجها من المدينة، لأنها كانت متلهفة للوصول الى البيت في أسرع ما يمكن، لئلا تتأخر كالليلة السابقة، فيخيب أملها في الذهاب الى زيارة هذا الرجل الذي لا يطاق.

- والآن، ماذا تجيبين؟

- أدركت انها قد تمطر، ولكنني غادرت المدينة على كل حال. أتريدني ان أصرف ليلتي هناك؟

- وماذا جرى للدراجة؟

- انفختت عجلتها الخلفية أمس. ولكن لو كنت على دراجتي اليوم، هل كانت تقيني المطر؟

- ربما، لأن الدراجة اسرع من السير على القدمين. وأغلب الظن انك كنت وصلت الى البيت قبل ان تمطر.

ومد ريك يده الى جيبه وأخرج ورقة نقد بعشرة جنيهات، فصاحت به:

ـ ما هذا؟

ـ ثمن العجلة التي كان يجب عليك ان تشتريها لا ان تستبدليها بأخرى عتيقة.

فأجابته قائلة باستياء:

ـ لا، شكراً.

ـ خذيها.

ـ قلت لك: لا.

ـ انت تجادلين في كل شيء.

ـ وأنت تتصرف كأنك السيد المطاع!

وساد الصمت بينهما، فيما أخذا يتبادلان نظرات الغضب. ثم قال لها:

ـ ماذا حدث لك ليلة البارحة؟

ـ ليلة البارحة؟

ـ نعم. اخبرتني والدتك بأنك ستأتين الى زيارتي.

فقطبت جبينها وتساءلت في نفسها لماذا يبدي اهتمامه الآن بعدم زيارتها له البارحة، مع انه لم يهتم مطلقاً بعدم قيامها بزيارته في غضون الأسابيع الاخيرة.

ـ أظن ان والدتي اخبرتك انني ربما آتي الى زيارتك، فهي لم تجزم بذلك. وعلى كل حال، فلم يكن لدي متسع من الوقت.

قالت ذلك بغير مبالاة، تمشياً مع قرارها الأخير ان تكبح جماح عواطفها نحوه.

ـ ومن هذا الذي شغل وقتك؟

وفوجئت روبن بهذا السؤال الذي يدل على الغيرة من ان تكون فضلت عليه آخر. فهل يكون ذلك سبب موقفه الغريب نحوها؟

وأجابت على سؤاله بهدوء:

ـ قضيت السهرة مع عائلتي. فلا معنى، اذن، لسؤالك هذا.

ـ أرجو ان تكوني استمتعت بسهرتك!

وسرها شعوره الواضح بالغيرة، فرأت ان تصب الزيت على النار، فقالت:

ـ لم أعدك وعداً قاطعاً بأني سآتي الى زيارتك.

ـ لا، لم يكن وعداً قاطعاً.

فقالت بلهجة غنج ودلال:

ـ اذن، فلا يحق لك ان تستاء او يخيب أملك لعدم مجيئي.

ـ هذا صحيح.

قال ذلك بلهجة صارمة وهو يوقف السيارة أمام بيتها.

وعضت روبن على شفتها، فيما مال ريك نحوها وهو في مقعده، كما لو كان ينتظر منها ان تخرج من السيارة. غير انها لم تكن تريد ان تفارقه هكذا باكراً. فقالت له:

ـ يمكنني العودة معك الآن الى منزلك لمدة قصيرة.

ـ وأنت في مثل هذه الحال.

وفطنت روبن ان ثيابها مبللة، فأجابت قائلة:

ـ بعد ان أغير ثيابي!

ـ لا. ليس الليلة. انا مشغول.

فاصفرّ لون وجهها لرفضه طلبها، وسألته رداً على سؤاله منذ حين:

ـ من هي؟

فأسند ظهره الى المقعد وأجاب قائلا:

ـ هي آلة كاتبة... تلك التي رأيتها في غرفة نومي.

على ذكر غرفة النوم تبادر الى ذهنها ما جرى لها معه هناك.

ـ وماذا ستعمل بها؟

فأجابها بلهجة جافة:

ـ سأطبع.

ـ اذا كنت لا تريد ان تخبرني الحقيقة، فعليك ان تعلن ذلك بصراحة.

ـ حسناً. لا أريد ان أخبرك.
ـ أهكذا؟
ـ نعم. هل هذا يرضيك؟
استولت الحيرة على روبن ولم تعرف ماذا تجيب. وتمنت لو انها كانت مثله قادرة على اخفاء عواطفها وكتمان الكثير مما يخطر ببالها. ولكنها الآن أصرت على معرفة ما سيفعله تلك الليلة، وان كانت تشك في النجاح.
وقال لها:
ـ أظن ان عليك ان تسرعي الى البيت، وتخلعي ملابسك المبللة، وتستحمي، وتشربي شراباً ساخناً...
ـ انت في نظرك دائماً على حق. وهل انت ايضا ستستحم وتشرب شراباً ساخناً؟
ـ ثيابي ليست مبللة كثيابك!
ـ ما زلت اعتقد...
ـ حسناً... سأشرب شراباً ساخناً. هل هذا ما تريدين؟
وأدركت روبن انها يجب ان تسرع الى البيت لخلع ملابسها، قبل ان يصيبها مكروه، فقالت له:
ـ هل تريدني ان آتي اليك غداً مساء؟
ـ كما تشائين.
ـ ولكن هل تريدني ان أفعل؟
ـ قلت لك كما تشائين.
واستاءت روبن لهذه اللامبالاة التي يبديها، فصاحت به قائلة بغضب شديد:
ـ يا الهي! كم انت رجل بغيض!
ـ هذا رأيك.
قال ذلك وتنهد طويلا وهو يقول:
ـ سلوكك معي يثير في أسوأ غرائزي. فمثلا كنت أود الآن...

وصمت قليلا، ثم تابع قائلا:
ـ لا شيء. لا فائدة من الكلام...
فأصرت روبن عليه ان يكمل عبارته، فرفض بادىء الأمر. غير انه نزل عند طلبها قائلا:
ـ حسناً. سألبي طلبك.
وأقبل عليها يطوقها بذراعيه ويعانقها بكل جوارحه.
وفجأة أبعدها عنه وهو يقول:
ـ لماذا لا تتركينني وشأني؟ ألم تدركي بعد انني خطر عليك؟
فأجابت وهي تتمالك نفسها:
ـ خطر عليّ؟
ـ نعم، لأنني أريدك كما لم أرد امرأة من قبل. ومع ذلك لا أريد ان أترك العنان لنفسي، لئلا...
ـ لئلا ماذا؟
ـ انت تعرفين الجواب.
ـ كلا. اخبرني أنت.
ـ ان كنت لا تعرفين الآن، فستعرفين بعد سنتين. خير لك ان لا تستعجلي الأمور!
فأغمضت عينيها لئلا يرى فيهما الألم الذي كان ينتابها، وقالت:
ـ هناك بداية لكل شيء... أليس كذلك؟
وكانت أدركت انه يريدها، ولكن بعض الشيء، يوم أخذها في ذراعيه لأول مرة وهي في منزله. اما الآن فأدركت ذلك تماماً. وعلى كل حال، فهي وقعت في غرام رجل تكاد لا تعرف عنه شيئاً، غير انه لا يبادلها هذا الغرام. الا انه كان يريدها، وهذا يكفي كبداية لكل غرام. وسيأتي يوم يقع في غرامها كما وقعت في غرامه، ولكن يكفي الآن انه يريدها.
وقال ريك بجدية صارمة:
ـ انا الآن في حاجة الى امرأة، بعد هذه الأسابيع السبعة التي قضيتها هنا في عزلة. وهذا شيء طبيعي، أليس كذلك؟

فبللت روبن شفتيها الجافتين بطرف لسانها وقالت:
- هل تريد ان تقول انك تريدني، لا أكثر ولا أقل؟
- وما الخطأ في ذلك؟
- لا شيء.
قالت ذلك بخيبة أمل عقدت لسانها عن الكلام، فقال لها:
- وداعاً يا روبن. ستشكرينني لموقفي هذا يوماً من الأيام.
- لست متأكدة من ذلك.
- اما انا فمتأكد يا روبن.
- ريك...
- الى اللقاء يا روبن.
- هل انت ذاهب الآن؟
- نعم، واياك ان تأتي الى منزلي من الآن فصاعداً.
فابتسمت قائلة بنبرة حزينة:
- لن أفعل.
- واذا فعلت فلن أفتح لك الباب!
وأدركت روبن انه كان يعني ما يقول، فتمتمت وهي تكاد تشهق بالبكاء:
- ألا تودعني قبل ان تفارقني؟
- وداعاً. والآن أتخرجين من السيارة قبل ان اضطر الى اخراجك بالقوة؟
- سأخرج.
قالت ذلك بصوت أجش وهي تفتح الباب. وما كادت تنزل من السيارة حتى انطلق بها ريك بسرعة فائقة.
وشعرت روبن، وهي واقفة على الرصيف، انها وقعت في الحب لأول مرة في حياتها، ولكن مع رجل لا يمكن لها ان تفوز به. قد لا تعرف شيئاً كثيراً عن ريك، غير انها تعرف على وجه التأكيد ان لا نية له في الزواج بفتاة شابة مثلها لا خبرة لها في الحب.
وكان والدها على وشك ان يغلق باب الحانوت حين دخلت اليه، فنظر اليها مبتسماً وقال:

- ألا تزال تُمطر؟ أراك مبتلة حتى العظم.
- وبغزارة أيضاً. ألم تلاحظ؟
- كلا. يجب ان تصعدي الى البيت في الحال وتغيري ملابسك. والدتك أعدت لك طعام العشاء.
وصعدت روبن الى البيت وخلعت ملابسها واستحمت، ثم ارتدت ثيابها قبل ان تقدم لها والدتها الطعام.
وسألتها والدتها قائلة:
- هل هي سيارة السيد هوارث ما رأيت خارجاً في الشارع؟
- نعم.
- وهل انت ذاهبة الى زيارته بعد الانتهاء من تناول طعامك؟
- كلا!
قالت ذلك بنبرة صارمة. فهي لم تكن تميل الى ان تخبر والدتها ان جدالا آخر نشب بينها وبين ريك، خصوصاً انه لم يكن جدالا في واقع الأمر، بقدر ما كان تصريحاً منه عن عدم رغبته في اقامة علاقة حب معها، لاعتقاده ان ذلك لا يجوز بسبب صغر سنها بالنسبة اليه.
وتأوهت والدتها وهي تسألها قائلة:
- هل وقع خلاف جديد بينكما؟
فتصنعت روبن الابتسام وأجابت:
- يبدو من نبرة صوتك انك تنظرين الينا كولدين متشاكسين...
- هكذا يخيل الي. واذا كان لي ان أبدي رأيي في السيد هوارث، فهو ان مظهره يدل على انه رجل لطيف المعشر ورصين، ومع ذلك تتخاصمان كلما اجتمعتما. انا اعرف ان الحق كله لا يقع عليك. انت سريعة الانفعال، ولكن انفعالك بحاجة الى من يثيره. ويبدو لي ان السيد هوارث يفعل ذلك بكل سهولة.
- ربما لأني أعامله دائماً بالطريقة ذاتها.
- هكذا لاحظت... والسيدة ريد جاءت الي اليوم وحاولت ان تستخبر مني عن العلاقة القائمة بينكما.

ولم يرق ذلك لروبن، فصاحت قائلة بغضب:
- يا لها من امرأة ثرثارة تعيش على الشائعات!
- ذلك لأن لا عمل لها ولا يشغلها شاغل... وعلى كل حال، فلم أخبرها بشيء.
- شكراً لك يا أماه!
- وأنا بالفعل اعتقد...
وفجأة دخل بلي الى الغرفة وشعره مبلل بالمطر، وصاح قائلا:
- احزروا ماذا جرى؟
وألقى الكيس الذي كان معلقاً على كتفه وتابع قائلا:
- هل تعلمان لماذا تأخرت في الوصول الى البيت هذه الليلة؟
فأجابت والدته بفروغ صبر:
- كلا. اخبرنا.
- لم أصدق عيني حين رأيت السيارة... هكذا محطمة من الأمام. يا لها من سيارة فخمة. كان المحرك لا يزال يعمل فأوقفته...
فصاحت به والدته قائلة باهتمام شديد:
- بلي... ما هذا الذي تقوله؟
- نعم، هذا ما رأيته بأم عيني.
- بلي!
- آسف، ولكن هذا ما حدث للسيارة فجأة وأنا هناك... وكان عليّ ان أتلفن للحصول على سيارة اسعاف.
وقالت له روبن بهدوء:
- ارجوك يا بلي... هدىء من روعك وأخبرنا ماذا حدث للسائق.
- حسناً. رأيت السيد هوارث، وهو فاقد الوعي، على مقود السيارة...
فقاطعته روبن صائحة:
- السيد هوارث؟ ريك؟ يا الهي!
ووقعت على الأرض مغشياً عليها.

٥ - «لم اعرف امرأة مثلك من قبل. براءتك وصدقك يجردانني من سلاحي الى حد يثير اعصابي. لذلك يجب ان اكون حذراً معك.»

لم يطل غياب روبن عن الوعي، ولكنه كان طويلاً الى حد دفع والدتها الى استدعاء والدها من الحانوت، فحملها ومددها على المقعد المستطيل في غرفة الجلوس.
- ريك! ريك!
وحاولت والدتها ان تهدىء من روعها فقالت:
- لا تقلقي يا ابنتي، والدك سيأخذك بسيارته الى المدينة.
وصاح والدها:
- انا؟
- نعم انت.
قالت الوالدة بحزم. فما كان من زوجها الا ان اذعن من دون مقاومة.
ونهضت روبن واقفة على قدميها وهي تترنح قليلاً وتقول:
- هيا بنا في الحال.
وكان ريك اصيب بأذى، ولكنها لم تعلم الى اي حد. فقد يكون لقي مصرعه... وهي لذلك يجب ان تصل الى المستشفى في اسرع وقت. وتساءلت: ماذا لو لقي مصرعه؟
وعلا وجهها الاصفرار لهذه الخاطرة. قالت لها والدتها:
- انتظري قليلاً يا ابنتي، حتى تتغلبي جيداً على الصدمة التي اصابتك.

فرفضت قائلة والألم باد على وجهها:
ـ لا، لا. يجب ان اذهب الآن من دون تأخير.
وأخذت تشهق بالبكاء وهي تصيح:
ـ ريك لم يمت... لا يمكن ان يموت.
واجلستها والدتها برفق على المقعد قائلة:
ـ اجلسي هنا، ريثما آتيك بفنجان من الشاي. والدك سيتلفن الى المستشفى ليستخبر عما اصاب السيد هوارث.
فالتفتت روبن الى والدها مستعطفة:
ـ ارجوك يا والدي ان تفعل.
ـ بكل تأكيد يا ابنتي، شرط ان تشربي فنجان الشاي.
ـ سأشربه... ولكن ماذا لو ان ريك قضى نحبه... آه، يا الهي!
وكان الشاي ساخناً ومقوياً، وحين عاد والدها نظرت اليه بلهفة لتعرف ماذا كان جواب المستشفى.
ـ لا يزالون يفحصونه، ولذلك لا يعرفون تماماً مدى الأذى الذي اصابه.
فتنهدت روبن بارتياح وقالت:
ـ على الأقل، فهو لا يزال على قيد الحياة!
وقال بلي:
ـ كنت متأكداً من ذلك حين رأيته. وكان علي ان اخبرك.
فانتهرته والدته قائلة:
ـ كان عليك ان تخبرها، اذن لوفرت عليها كل هذا القلق.
ـ لم يسألني احد.
وقالت روبن:
ـ ونحن نسألك الآن: ماذا جرى بعد ان وجدت ريك في سيارته؟
ـ خرج من السيارة قبل ان تصل سيارة الاسعاف. كان يترنح قليلاً، ولكنه كان واقفاً على قدميه...
فظهر الانفعال على وجه روبن وهي تقول له:
ـ ليتك اخبرتنا بكل هذا، لما كنت تخيلت اسوأ الأمور!

فقال بلي متسائلاً ببراءة:
ـ اية امور؟
ـ بلي... اما حان لعقلك ان يكبر؟
ـ انا استغرب تصرفك يا روبن...
فدفعته والدته باتجاه الدرج وهي تقول له بغضب:
ـ اصعد الى فوق يا بلي... واخلع ثيابك المبللة واستحم، ولا تقل شيئاً بعد عن هذا الموضوع.
وقال والد روبن:
ـ هيا يا روبن، لنذهب.
ـ الا يضايقك الذهاب يا ابي؟
فبادرت والدتها الى القول:
ـ كلا، لا يضايقه.
والتفتت الى زوجها قائلة:
ـ سيكون طعامك جاهزاً حين تعود يا بيتر.
وقالت روبن:
ـ بامكاني ان آخذ سيارة اجرة...
ـ ليس في هذه الساعة المتأخرة. والدك على استعداد لمرافقتك في سيارته، اما اذا اضطررت الى قضاء بعض الوقت في المستشفى، فعندئذ تعودين الى البيت في سيارة اجرة.
وفتح والدها لها الباب وهو يقول:
ـ كم تحب والدتك ان تنظم الأمور.
فأجابته والدتها وهي تتبعهما الى خارج الغرفة:
ـ لولا ذلك، كيف تكون حالك؟
وكان المطر لا يزال ينهمر، مما جعل الطريق محفوفة بالمخاطر. فكان على والدها ان يقود السيارة ببطء. وزاد ذلك في فروغ صبر روبن التي كانت تستعجل الوصول الى المستشفى.
وسألها والدها حين توقف في مرآب المستشفى:

- اتريدين ان ادخل معك؟
- لا، افضل ان ادخل وحدي.
- كما تشائين. ولكن اذا كنت تميلين الى الرجل، وهذا واضح في تصرفاتك، فعليك ان تضبطي عواطفك، حفاظاً على كرامتك في عينيه.
- اما قلت لي انك لم تتعرف اليه؟
- لا ضرورة لذلك، لأني اعرف اي نوع من الرجال هو.
- سأفعل بوصيتك. وسأخبرك بما اعرفه عن حالته.
وودعت والدها ودخلت لتجد قسم الطوارىء يكاد يكون خالياً من الناس. ولم يكن ذلك مستغرباً في الساعة السابعة مساء.
وفوجئت، وهي في حالة من الذهول، بممرضة واقفة امامها تسألها:
- هل لي ان اساعدك؟
- نعم، شكراً. جئت لزيارة السيد هوارث.
فقطبت الممرضة جبينها وأجابت قائلة:
- جئت لتأخذيه... هذا ما تريدين ان تقوليه، اليس كذلك؟
فأشرق وجه روبن وقالت لها بلهفة:
- هل سمح له بمغادرة المستشفى؟
- هكذا يبدو. هل انت قريبة له؟
فارتبكت روبن وتمنت لو انها كانت من قريباته وأجابت قائلة:
- كلا. انا صديقة له.
فرمقتها الممرضة بنظرة فيها شيء من الازدراء وقالت:
- اذن، يمكنك اذا شئت ان تنتظري في غرفة الجلوس هناك، ريثما يخرج السيد هوارث بعد ان ينتهي الطبيب من تضميده.
- تضميده؟
- نعم. فهناك كسر في ضلوعه.
- كسر في ضلوعه؟ كيف، اذن، سيغادر المستشفى؟
- نصحه الطبيب بالبقاء لبضعة ايام، ولكنه رفض وأصر على الذهاب الى بيته.

وفجأة سمعت روبن صوتاً يناديها قائلاً:
- روبن!
فالتفتت لترى ريك خارجاً من احدى الغرف. فركضت نحوه، ولكنها لم ترتم بين ذراعيه كالمرة السابقة، اذ تذكرت انه يعاني من كسر في ضلوعه، واكتفت بالنظر الى وجهه الشاحب وملامحه المتعبة. ثم هتفت قائلة:
- ريك!
- ماذا تفعلين هنا؟
وساء روبن استقباله لها بمثل هذه البرودة، ولكنها عزمت على الاحتفاظ بهدوئها، مخافة ان تشمت بها الممرضة التي كانت تقف بعيداً وتراقبهما بامعان.
واقتربت روبن من ريك ووقفت على رؤوس اصابعها، من دون ان تضع يدها عليه لئلا يتوجع ثم امسكته بذراعه وقالت له:
- جئت لمرافقتك الى البيت.
فأطرق برأسه وتردد قليلاً قبل ان يجيبها قائلاً بلطف:
- اشكرك على مساعدتك يا روبن.
وهنا خرج احد الأطباء، فاغتنمت روبن الفرصة لتقول لريك:
- اذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا تدعنا نبقيك في المستشفى بضعة ايام للراحة وزيادة المعالجة؟
فابتسم ريك بفروغ صبر وأجابها مداعباً:
- كيف لي ان اترك فتاة جميلة مثلك مدة من الزمن حرة طليقة في غيابي؟ فقد تميل الى آخر اصغر مني سناً...
وتلقت روبن مداعبته بعبوس، وحاولت ان تفلت ذراعه من يدها، غير انه كان ممسكاً بأناملها فلم تتمكن من ذلك، فاكتفت بالقول بشيء من السخرية:
- هيا بنا يا حبيبي!
فنظر اليها ريك مستغرباً، ولكن روبن تابعت كلامها قائلة:
- لو كنت رجلاً عاقلاً لقبلت ان تبقى في المستشفى لبضعة ايام.

- احتفظي بنصائحك لنفسك...

- يا لك من رجل عنيد. هيا بنا اذن!

وودع ريك الطبيب والممرضة وسار بروبن، وهي تتأبط ذراعه، الى الخارج. وهناك نزع يدها عنه وقال لها بعصبية ظاهرة:

- والآن ما معنى مجيئك الى هنا؟

- لمرافقتك الى البيت كما قلت لك... ووالدي هنا ينتظرنا في سيارته.

وسارت في اتجاه موقف السيارة، فصاح بها ريك:

- قفي قليلاً! بأي حق ظلمت والدك بالمجيء الى هنا لنقل رجل غريب بالنسبة اليه؟

- ولكنك لست غريباً بالنسبة الي!

- وما شأن والدك في الأمر؟

فثار غضبها وهي تجيبه قائلة:

- لا تنس ان بلي هو الذي وجدك بعد وقوع الحادثة. ومن الطبيعي ان نعنى جميعاً بما اصابك.

- وهل هذا هو السبب الوحيد؟

- كبرياؤك وحدها تجعلك تعتقد ان هناك سبباً آخر غير هذا!

وأخذ ريك يشتم غاضباً، غير مبالٍ بالألم. غير انه بدأ يترنح وهو يحاول الوقوف على قدميه، فقالت له روبن بلهفة:

- ريك، ماذا اصابك؟

وهنا اقبل والدها قائلاً:

- ساعديني يا روبن لنقله الى السيارة.

واستند ريك الى روبن ووالدها وهو يسير الى حيث صعد الى السيارة. وجلس ريك في المقعد الأمامي، بينما جلست روبن في المقعد الخلفي.

وقالت لوالدها:

- دعنا نأخذ ريك الى بيته ونضعه في فراشه.

- هذا ما يجب ان نفعل.

والتفت الى ريك قائلاً:

- احترز يا سيد هوارث، فالطريق ليست ممهدة جيداً.

وبالفعل كان ريك يئن من الألم، مع ان السيارة كانت تسير ببطء.

ووصلا الى اورشرد هاوس، فنزل ريك من السيارة بصعوبة فائقة، ثم استند الى روبن ووالدها وهو يدخل البيت.

وقال لهما ريك:

- ساعتني بأمري الآن. شكراً.

فبادرته روبن بالقول:

- انا لست متأكدة من ذلك. فسأبقى معك.

ثم قالت لوالدها:

- اذهب انت يا ابي وطمئن والدتي. فهي لا بد ان تكون شديدة القلق. وسأتبعك حالما يصبح ريك في فراشه.

فاحتج ريك قائلاً:

- شكراً. افضل ان اكون وحدي. لا اظن انني احتاج الآن الى اية مساعدة.

ولكن روبن لم ترضخ للأمر، بل ودعت والدها شاكرة وأسرعت لتلحق بريك.

وكان ريك وصل الى غرفة نومه وأخذ ينزع عنه سترته بصعوبة فائقة. وحين رآها تدخل الغرفة، بادرها بالقول:

- اما طلبت منك ان تتركيني وشأني؟

- نعم.

وأخذت تساعده على نزع سترته وفك ازرار قميصه. ثم اعانته على الاستلقاء في فراشه وهو يئن من شدة الألم.

- الا يسرك اني لا ابالي بأوامرك؟

- هذه المرة، نعم!

وبعد دقائق لم يلبث ريك ان استسلم الى سبات عميق.

وغطته روبن باللحاف وهي مسرورة لأنه سيأخذ قسطه من

الراحة. وبدا لها في نومه اصغر سناً، اذ زالت عن ملامح وجهه آثار السخرية والتوتر.

ووقفت روبن قليلاً تتأمله وتتمنى لو انها كانت الى جانبه. كان رجلاً بكل معنى الكلمة، قوياً مفتول العضلات حتى وهو في نومه.

ثم اخذت تفكر منذ تلك الساعة في ما يجب ان تعمله تلك الليلة. هل تبقى بقرب ريك لكي تعتني به وتخدمه، ام تعود الى البيت؟ وكان والدها قال لها عند وداعه لها: «ننتظر عودتك الى البيت حين نراك.» فهل هذا يعني ان لا مانع لديه ان هي باتت ليلتها في بيت ريك، لعلمه ان ذلك ضروري لحاجته الماسة اليها؟

وكان في الطبقة السفلى من المنزل جهاز للتلفون، فنزلت وتلفنت الى والدتها. فلم تمانع في قضائها الليلة في بيت ريك لأن من غير المعقول ان تتركه وحده. على ان والدها اظهر امتعاضه من ذلك، ولكنه لم يجد سبيلاً الى الرفض.

ولم يكن لروبن خيار الا ان تبيت في غرفة النوم، لخلو المنزل من الأثاث. ففيها على الأقل كرسي فارغ تستطيع استعماله، مع انه قاس وغير مريح.

وبدا لها ان ريك يغط في نوم عميق، ربما بفعل الأدوية التي تناولها في المستشفى تخفيفاً من اوجاعه.

وتمنت لو كانت الكرسي مقعداً مستطيلاً، لكان في وسعها التمدد عليه والاستسلام الى النوم ملء جفونها. اما والحالة هذه، فكان عليها ان تحاول النوم وهي جالسة. وتوقعت ان تبوء محاولتها بالفشل، لأنها تقوم بها لأول مرة في حياتها.

وهكذا جلست منتصبة الظهر في الكرسي، غير قادرة على النوم. ولم يكن بالامكان انارة الغرفة بحيث يتسنى لها قتل الوقت بالقراءة. واستولى عليها الضجر، فيما كانت الدقائق تمر كأنها ساعات، وداخلها الشك في جدوى قضاء ليلتها هناك، ما دام ريك مستغرقاً في النوم.

ولكن ريك، بعد الساعة الرابعة صباحاً بقليل، اخذ يتقلب في

فراشه وهو يئن من الوجع، مما جعله يستيقظ من النوم. فسارعت روبن الى الوقوف بجانب السرير، ولما فتح عينيه وشاهدها سألها قائلاً، من دون ان يبدي استغرابه من وجودها:

ـ كم الساعة الآن؟

ـ نحو الرابعة والربع.

ـ في الصباح؟

ـ نعم. كيف حالك الآن؟

فأجابها وهو يحاول الجلوس في فراشه:

ـ كما ترين... واياك ان تقولي لي كان يجب علي ان ابقى في المستشفى!

ـ لم يخطر ذلك في بالي... على الرغم من انني استغرب ان ارى رجلاً مثلك يخاف...

ـ يخاف؟ انا لا اخاف. كل ما في الأمر هو اني لا اعتبر نفسي مريضاً الى درجة تستدعي احتلال سرير في المستشفى!

ـ ولكن هناك من لا يوافقك على رأيك هذا.

فتجهم وجهه وازداد غضباً وهو يقول:

ـ هم جهلة لا يفهمون شيئاً! والآن هل ستساعدينني على النهوض ام ستظلين واقفة في مكانك تتفرجين علي؟

قال ذلك باستياء ورمى عنه الغطاء جانباً، مما بعث الرعشة في مفاصل روبن.

ـ لا تقم بأية حركة ليست ضرورية.

ـ سمعاً وطاعة!

قال ذلك بلهجة ساخرة، ثم تابع قائلاً وهو يمد اليها يده:

ـ ساعديني يا روبن!

وحاولت روبن التغلب على شعورها بالارتباك وهي تساعده على النزول عن السرير.

وشعر ريك بارتباكها، فقال لها مداعباً:

- لا تخافي. فأنا لست في وضع يمكنني من الانقضاض عليك!
فتطلعت اليه قائلة بصراحتها المعهودة:
- لا ابالي اذا فعلت.
فزجرها قائلاً:
- لا. لا انت تحاولين الآن ان تستغلي ضعف رجل مريض!
ولم تشأ ان ترد اليه التهمة، فقالت:
- أسفة. سأنتظر سنوح فرصة اخرى، حين تعود اليك عافيتك.
- ليتك لا تنتظرين!
- لا بل سأنتظر، شئت ام ابيت!
فقطب جبينه قائلاً:
- ولكنك ستجلبين الأذى على نفسك!
- وان يكن...
- عندئذ اياك ان تقولي اني لم انذرك... والآن دعيني، فبامكاني ان اتولى الأمر بنفسي.
قال ذلك ودخل الى غرفة الحمام، بينما عادت روبن الى غرفة النوم لانتظاره. وأدركت ان انذاره لها كان جدياً. فهو ليس مغرماً بها، كما اوضح لها مراراً بالقول والفعل. وبعد حين سمعت صوته يناديها قائلاً:
- روبن...
فذهبت اليه وعيناها مبللتان بالدموع، وحين شاهدها استولت عليه الحيرة، ولكنه اكتفى بالقول:
- هل لك ان تساعديني؟
واستند ريك الى كتفها وهي تطوق خصره بذراعها من دون اي انفعال، لأنها تغلبت على شعورها بالحياء.
وتنهد ريك بارتياح حين تمدد في الفراش، وقال لها:
- شكراً. انت فتاة رائعة يا روبن!
فتألمت لكلامه وقالت باستياء:

- لا تعد الى مخاطبتي كطفلة... ارجوك! انا امرأة بكل ما في المرأة من عواطف ومشاعر... ثم اني احبك!
- روبن...
- لا. لا تشفق عليّ. انا ذاهبة الآن. وعلي ان آخذ قسطي من النوم قبل ان يحين موعد عودتي الى العمل. هل بامكانك الاعتناء بنفسك في غيابي؟
- نعم. لا تقلقي علي. ولكن...
- يسرني ذلك. وعلى كل حال، فسيأتي اليك من يسألك اذا كنت بحاجة الى شيء.
قالت ذلك دون ان تنظر اليه... وأسرعت وفتحت الباب، وهي تكاد لا ترى امامها من غزارة الدموع.
وأخذ ريك يناديها قائلاً وهو يحاول النهوض من فراشه:
- روبن... روبن... بربك عودي الي... لا تفارقيني هكذا.
فالتفتت وأقبلت نحوه وهي تقول:
- لا حيلة لي في الأمر. احبك ولا اخجل من ان اصارحك بحبي.
فأجابها بهدوء وهو يمد يده اليها:
- اذا كنت لا تخجلين من مصارحتي بحبك لي، فتعالي الي...
فمسحت دموعها عن خديها وقالت:
- آتي اليك؟
- نعم... اريد ان اودعك.
فاقتربت اليه من غير تردد وهي تصيح:
- آه يا ريك!
وتذكرت اضلاعه المكسورة فلم ترتم بين ذراعيه، بل اكتفت بوضع يديها على كتفيه والنظر الى وجهه الذي بدت عليه ملامح الألم.
وطوق ريك خصرها بذراعيه وشدها اليه برفق وهو يقول:

ـ لم اعد استطيع ان اقاوم او ارفض، على الرغم مما انا عليه.
ولم تشعر روبن بأي خوف ولا تحفظ من الاستسلام بكليتها الى هذا الرجل، ولكنها كانت قلقة على الحال التي هو فيها.
ـ دعنا ننتظر الى حين تعود اليك عافيتك.
ـ لا استطيع الانتظار دقيقة واحدة. اريدك الآن يا روبن.
قال ذلك وجذبها نحوه وهو يقول:
ـ آه ، كم انت جميلة يا روبن!
وأخذت روبن ترتعش وعروقها تنبض الى حد الاغماء. وقال لها وهو يتأوه:
ـ آه يا روبن، انت رائعة.
وفجأة افلتها وابتعد عنها وهو يصيح:
ـ آه يا الهي!
فنهضت روبن ، والقلق على حبيبها انساها العاطفة المجنونة التي كادت تعصف بها، وقالت:
ـ ما بك؟ ماذا جرى لك؟
ـ اضلاعي. لم يعد لي قدرة على احتمال الألم.
ـ ريك... الحق علي. لا تؤاخذني... هدىء من روعك واسترح يا حبيبي.
اغمض ريك عينيه وقال لها بحزم:
ـ عليك ان تذهبي الآن. وسنكمل ما بدأناه الآن بعد ان تعودي من عملك.
فلم يرق لها ذلك، فقالت:
ـ لا. اريد ان اقضي هذا النهار معك.
فأجابها متضجراً:
ـ ولكني اريد ان انام.
ـ انت لا تريدني ان ابقى معك، اليس كذلك؟
ـ نعم، دعيني وشأني الآن يا روبن. فأنا متوجع واحتاج الى

الراحة وأنا وحدي.
فاحمر وجهها خجلاً وقالت وهي تتجه نحو الباب:
ـ حسناً. سأعود اليك هذه الليلة.
فناداها قائلاً:
ـ الا استحق منك كلمة وداع؟
ـ احبك كثيراً يا ريك.
قال لها وهو يداعب جدائل شعرها:
ـ لم اعرف امرأة مثلك من قبل. براءتك وصدقك يجردانني من سلاحي الى حد يثير اعصابي.
فضحكت بهدوء قائلة:
ـ يا لك من رجل مسكين يا ريك!
ـ يجب ان اكون حذراً معك. فأنت من اللواتي يطمحن الى تقطيع الرجل الى اشلاء...
ـ ولكنك لست رجلاً كسائر الرجال يا ريك.
ـ ارجو ذلك. والآن اذهبي يا روبن قبل ان احاول اغراءك مرة اخرى. فأنا الآن غير قادر على القيام بهذه المهمة الصعبة...
فما كان من روبن الا ان ردت على كلامه بشيء من الغيظ:
ـ اتعتبر ذلك مهمة... وصعبة ايضاً؟
ـ سنرى الليلة... والآن ارجوك ان تذهبي. فأنا بحاجة الى النوم.
وعادت روبن الى البيت فرحة مبتهجة. وقبل ان تذهب الى النوم قليلاً، تناولت طعام الفطور. وفيما هي تهم بالخروج من المطبخ، نزلت والدتها من غرفة النوم وسألتها قائلة:
ـ متى عدت الى البيت يا روبن؟
ـ منذ نحو ساعتين.
ـ كيف حال السيد هوارث؟ هل استطاع ان ينام؟
ـ بضع ساعات.

قالت ذلك واتجهت نحو الباب. فقالت لها والدتها:

- الى اين انت ذاهبة؟

- علي ان استعد للذهاب الى عملي.

- وكيف تذهبين الى عملك ولم يغمض لك جفن الليلة؟

- لا تقلقي يا اماه. فأنا لا اشعر بالتعب البتة.

- ولكن...

فقاطعتها روبن قائلة:

- هوّني عليك. انا على ما يرام.

ومر ذلك النهار كالحلم بالنسبة الى روبن. ولاحظت زميلتها سلمى ذلك التغير في مزاجها، فسألتها قائلة:

- هل وجدت لك صديقاً جديداً؟

فأجابتها بمرح قائلة:

- كلا.

- اذن، ماذا بك؟ هل عدت الى ريك؟

ولما لم تجب تابعت سلمى كلامها قائلة:

- يبدو لي كذلك. وهل ستحتفظين به لنفسك هذه المرة ايضاً؟

فضحكت قائلة:

- سأبذل جهدي لتحقيق ذلك.

ولم تذهب روبن الى بيتها ذلك المساء، بل اسرعت الى بيت ريك، على امل ان تتلفن لوالديها من هناك، فتخبرهما عن مكان وجودها.

وحين وصلت الى بيت ريك لم تدق الباب، بل دخلت مسرعة الى غرفة النوم وهي تنادي:

- ريك!

وكم كانت دهشتها شديدة حين لم تجد احداً. كانت الغرفة خالية الا من الأثاث. اما كل شيء يخص ريك، فلم يكن هناك.

وهكذا ترك المنزل فجأة كما انتقل اليه فجأة.

٦ـ كان الحظ في مقابلته هنا في هذه المدينة الكبيرة لا يزيد عن واحد في المليون. ومع ذلك ها هو أمامها وجهاً الى وجه...

وتساءلت روبن، على إثر تلك الصدمة العنيفة المفاجئة، كيف أجاز ريك لنفسه ان يتخلى عنها على هذا النحو؟ اما اظهر لها حبه، كما اظهرت له حبها؟ صحيح، لم يصرح لها بحبه، ولكنه اعترف بأنه يريدها. ولا شك ان هنالك فرقاً شاسعاً بين ان يحبها وبين ان يريدها، غير ان هذا الفرق لا يبرر له تحطيم قلبها بعد كل ما حاولت ان تفعله من أجله.

وتذكرت انه انذرها بأن الاذى سيلحقها اذا تعلقت به، ولكنها لم تكن تتصور ان هذا الاذى سيكون فوق طاقتها على الاحتمال. ذلك لأنه خرج من حياتها في الوقت الذي بلغت فيه أوج سعادتها معه.

وطال وقوفها في الغرفة الخالية وهي في ذهول شديد. وخيم الظلام حين تمكنت ان تعود الى كامل وعيها وتخرج من اورشرد هاوس لآخر مرة. فهي لن تعود اليه في حياتها، ولن تقوى حتى على النظر اليه من الخارج، لئلا تستعيد ذكرياتها التي يجب ان تنطوي الى الأبد.

وعادت الى البيت فوجدتها والدتها في المطبخ، وحين شاهدتها صاحت قائلة:

- يا الهي! ماذا بك يا روبن؟

وهرعت اليها تمسك بذراعها وتهزها قائلة:

- أين كنت يا ابنتي؟ والدك وأنا قلقنا عليك قلقاً شديداً.

ـ ذهبت لأرى ريك..
ـ لكنه لم يكن هناك؟
ـ وكيف عرفت ذلك؟
ـ لأنه مرّ بالحانوت...
فقاطعتها روبن قائلة بأسى:
ـ نعم، لم يكن هناك... غادر المنزل!
ـ اذن، لماذا تأخرت؟
ـ تأخرت لأني كنت غارقة في التفكير. والآن اريد ان أصعد الى غرفتي لأكون وحيدة بعض الوقت.
ـ حسناً يا ابنتي. أرى عليك دلائل التعب والاعياء. والدك خرج منذ مدة يبحث عنك.
ـ يؤسفني ذلك. قولي له اني آسفة لازعاجه.
ـ يمكنك ان تخبريه بنفسك حين يعود.
ـ ولكني سآوي الى فراشي، ولن أراه حتى الصباح.
ـ في الليلة الماضية، هل...
فابتسمت روبن قائلة:
ـ كلا.
فظهر الارتياح على والدتها وقالت:
ـ اعذريني اذا سألتك هذا السؤال يا ابنتي. انت تدركين...
ـ ادرك حرصك علي يا أماه... وثقي اني...
ـ صدقتك يا ابنتي. كل ما اتمناه هو ان تكوني بخير.
ولم تكن روبن بخير، الا انها لم تشأ ان تصارح والدتها بالحقيقة لئلا تسبب لها الحزن، فقالت لها:
ـ لم يكن ريك صالحاً لي. كنت أدرك ذلك منذ البداية، ولذلك لن يؤثر علي فراقه كثيراً.
ـ هل انت متأكدة؟
ـ نعم... وسأراك يا أماه غداً صباحاً.

ولم يغمض لها جفن تلك الليلة، كما انها لم تستسلم الى البكاء، بل بقيت تحدق في ظلام الغرفة حتى الصباح.
وفي الأسابيع التي تلت، لم يذكر أحد ريك أمامها ولا تحدث لها عنه، ما عدا سلمى. ففي أحد الأيام، جلست سلمى بجانبها في غرفة المستخدمين وسألتها قائلة:
ـ ماذا؟ خسرته مرة أخرى؟
فتجاهلت روبن ما تقصد اليه من سؤالها هذا، فأجابت:
ـ لا أدري ما تقولين.
ففوجئت سلمى بجوابها، ولكنها تصنعت الابتسام وتابعت كلامها قائلة:
ـ لا أعرف كيف كان تصرفك معه، ولكني أظن أنك لم تتصرفي كما يجب.
ـ سلمى...
ـ أنا آسفة. والآن صدقيني ان لا رجل يستحق الألم الذي تعانين من أجله...
ـ ربما...
ـ لا بل أنا متأكدة، فمنذ وقعت عيناي على صاحبك هذا ريك توقعت انه سيلحق الأذى بك. أخبريني الحقيقة... ألم يحطم قلبك من دون ان يرف له جفن؟
ـ لا. ليس الى هذا الحد!
ولم تكن روبن تخبرها بالحقيقة. ولعل ذلك يعود الى انها لم تشأ ان تعترف بالواقع. فمع ان ريك حطم قلبها بالفعل، وفوق ذلك لم يتلفن لها ولا راسلها منذ فارقها، بل تصرف كأنه تبخر فجأة وزال عن الوجود، فانها بقيت تأمل انه انما فعل ذلك اضطراراً لا رغبة في ايذائها وتنغيص عيشها.
واستمرت سلمى في حديثها عن ريك فقالت لروبن:
ـ صدقيني... ما من رجل كامل الأوصاف!

ـ كامل الأوصاف؟

ـ نعم. ومع ان صاحبك هذا يبدو خبيراً، الا انه لا يستحق منك هذه المعاناة التي تعمل على تشويه محاسنك!

وكانت سلمى في كلامها هذا على حق، لأن الهزال بدأ يظهر واضحاً على روبن، والاصفرار يلوح على وجهها، حتى نضبت نضارتها وذبلت حيويتها ولم تعد تلك الفتاة الجذابة المشرقة.

وتأثرت روبن وبان عليها الانفعال، فصاحت بغضب:

ـ ريك... ريك! يا لك من رجل حقير.

فابتسمت سلمى قائلة:

ـ هذا أفضل...

ـ ماذا تعنين؟

ـ أعني غضبك. فالأفضل ان تغضبي على ان تعبسي وتقطبي جبينك. خسرت كثيراً من العشاق ولكني لم أدع ذلك يفسد علي حياتي وينغص عيشي... لا شك ان ريك هوارث رجل فريد بين الرجال، ولأنه كذلك صعب عليك الاحتفاظ به. وهذا يجب ان لا يمنعك من نسيانه وفتح قلبك لرجل آخر.

ـ انت لا تدركين اني...

ـ انك تحبينه، أليس كذلك؟ وأنا أحببت مرات عديدة، وهذا لا يعني شيئاً. ليتك تأتين معي الليلة الى النادي، حيث أعرّفك على رجل يجعلك تنسين ريك هوارث.

ـ لا شكراً لك يا سلمى.

ـ ولماذا لا؟ عليك ان تجدي صاحباً آخر، وعندئذ يخرج ريك من حياتك ويطويه النسيان.

وتساءلت روبن-كيف يكون ذلك؟ فذكرى ريك محفورة في قلبها الى الأبد، ومهما حدث فأنه سيبقى الرجل الأول في حياتها.

وقالت لها سلمى:

ـ لا ادري بماذا تفكرين الآن يا روبن. ولكني ألحّ عليك بأن

تحاولي نسيان ريك. فانت لا تزالين في مطلع الحياة والطريق أمامك طويلة...

وبعد أخذ ورد، قبلت روبن ان ترافق سلمى الى النادي في ليلة مقبلة. وحين رافقتها لأول مرة طاب لها الجو، بحيث رافقتها عدة مرات في الأسابيع التالية. وكانت سلمى تنتقل من شاب الى آخر، من دون ان تتورط جدياً مع أحد.

ووجدت روبن أيضاً من سألها الخروج معه عدة مرات، ولكنها كانت ترفض. الا انها لم ترفض الدعوة الى الرقص.

وقلق والداها عليها وتساءلا من يا ترى يكون صاحبها المقبل؟ ولكنهما حين التقيا سلمى ووجدا انها فتاة متعقلة زال قلقهما، خصوصاً انها لم تحاول ان تؤثر على سلوك روبن فتجعلها مثلها شديدة الاندفاع.

وفي ليلة من تلك الليالي تعرفت روبن الى بريان فطلب منها ان تراقصه، فلبّت طلبه لأنها أعجبت به. كان شاباً طويل القامة، اسمر البشرة، ذا عينين رماديتين ماثلتين نحو الزرقة، لا يزيد عمره عن العشرين.

وقال لها بريان وهو يراقصها:

ـ أنا عادة لا أتردد الى النوادي. ولكن ابن عمي اقنعني بالمجيء الليلة، وأنا غير نادم على ذلك.

وسألته روبن وهي تبتسم:

ـ وأين هو ابن عمك؟

ـ هناك، يراقص سلمى.

والتفتت روبن الى حيث كانت سلمى تراقص فتى اشقر الشعر، ثم قالت لبريان:

ـ أهذا هو ابن عمك؟

ـ نعم. هل لي ان اقدم لك كأساً من العصير؟

فترددت روبن قليلاً، ثم اجابته الى طلبه.

وسار بها بريان الى الطبقة العليا، فأجلسها على طاولة هناك قبل ان يذهب الى الاتيان بكأسين لها وله.

وقالت له روبن بعد ان جلس الى الطاولة قبالتها:

ـ انا روبن كاسل.

ـ وأنا بريان ووكر. جئت الى هنا في اجازة.

ـ في اجازة؟

ـ نعم، وأقيم مع عمي وزوجته، وهما والدا بول وأنا أدرس في معهد للفنون الجميلة، ولكن والديّ يريدانني ان ادرس الطب كوالدي وأخويّ. أما أنا فأعتقد ان ثلاثة اطباء في العائلة الواحدة يكفي...

ووافقت روبن على كلامه، فتابع كلامه قائلاً:

ـ وفضلاً عن ذلك، فأنا لا أطيق رؤية الدم!

فقهقهت روبن ضاحكة وقالت:

ـ هذا وحده يجب ان يمنعك عن ممارسة الطب.

ـ هذا صحيح، ولكن والديّ يعتقدان أني سأعتاد على ذلك. وحاولت عبثاً، بواسطة صديق حميم لوالدي، ان اقنعهما بوجهة نظري.

ـ ربما لأنك لم تحاول اقناعهما بنفسك!

ـ حاولت... والآن ما لنا ولهذا الموضوع. أنا لا أريد ان اثقل عليك بطرح مشاكلي الخاصة بي.

وسر روبن ان تعنى بمشاكل الآخرين، خصوصاً لأنها لم تفكر ابداً بريك منذ تعرفت الى بريان. فقالت له:

ـ لا، بل هذا يهمني كثيراً. ومتى ستبدأ الدراسة؟

ـ في الشهر المقبل. دعينا من الحديث عني، ولنبدأ بالحديث عنك أنت.

ـ ليس في حياتي ما يستحق الحديث عنه!

ووضع بريان يده على يدها التي على الطاولة وقال:

ـ هذا تواضع منك.

وبعد ان ذكرت لمحة من حياتها، قال لها:

ـ لا بد انك اخفيت شيئاً عني.

ـ أو هكذا تتصور...

ـ لا. هذا واقع. هل آلمك كثيراً؟

فلم تتمالك من القول:

ـ نعم، كثيراً.

فقال بريان بانفعال:

ـ يا للحقارة!

ـ لا يمكنك ان ترغم احداً على ان يحبك!

ـ ولكني لا أرى كيف انه لم يحبك.

ـ لم يفعل... والآن أفضل ان نترك هذا الحديث.

ـ هذا يلائمني. فأنا لا أحب المنافسة. دعينا نذهب الى الرقص مرة أخرى.

وحين طلب منها بريان بعدئذ ان تخرج معه الى السهرة، لبت الدعوة. وخرجت سلمى أيضاً مع ابن عمه.

ولم تلبث سلمى ان قطعت علاقتها مع صديقها الجديد، لأن سلوكه المصطنع لم يرق لها. ولكن روبن استمرت في علاقتها مع بريان. كانت تجده حلو المعشر، شديد الميل اليها. وهكذا كانت تشعر معه بارتياح لم تكن تشعر به مع ريك.

وبقي اورشرد هاوس خالياً، فلم يسكنه احد. وكان يذكّر روبن، كلما نظرت اليه من الخارج، بطيشها وسلوكها الأرعن مع ريك، ولعل هذه الخبرة هي التي جعلتها تتصرف بتحفظ ورصانة مع صديقها الجديد بريان، حتى بعدما تكرر لقاؤهما وخروجهما معاً الى السينما او الى النادي.

وكان من الطبيعي، مع مرور الأيام وطول المعاشرة، ان يحاول بريان تعميق علاقته الودية معها، بحيث تصبح علاقة حب لا مفر

فيها من العناق، الا ان روبن كانت دائماً تصده وتوقفه عند حد.

وقال لها مرة وهي جالسة بجانبه في مقعد السيارة الأمامي:

ـ يبدو اني لا استطيع ان احرز اي تقدم في علاقتي معك.

ـ لم يخطر لي انك تريد ذلك.

ـ انك جذابة ورائعة... فأنا أكاد أقع في غرامك يا روبن.

وكانت روبن تدرك ذلك، ولكنها تمنت ان لا يعرب لها عن مشاعره هذه بالكلام، لأنها كانت، هي الأخرى، تميل اليه وتنعم برفقته.

ثم قال لها بريان:

ـ اخبرت والديّ عنك...

ـ فلم يرق لهما الخبر، أليس كذلك!

وكانت روبن علمت في الأيام الأخيرة ان عائلة بريان تنتمي الى الطبقة الاجتماعية الرفيعة، وان والده لم يكن مجرد طبيب، وانما كان طبيباً ذائع الصيت. فلا عجب ان يستاء جداً من عزم بريان على دراسة التمثيل لا الطب.

وأجابها بريان قائلاً:

ـ بلى. وهما قادمان في نهاية الاسبوع للقائك!

فتجهم وجهها وقالت:

ـ للقائي، لماذا؟

ـ لأني اخبرتهما بأني انظر الى علاقتي معك بعين الجد... وأريد ان اتزوجك!

فصاحت به قائلة بصوت متهدج:

ـ يا الهي! ما الذي دفعك الى ان تقول لهما مثل هذا الكلام؟

ـ لأنه الحقيقة. أنا ادرك اننا لم نتعارف الا منذ نحو اسبوعين...

ـ منذ عشرة أيام لا أكثر...

ـ نعم منذ عشرة أيام. ولكني مغرم بك وأريد ان اجعلك زوجتي.

ـ لا تكن احمق يا بريان. لا احد يقع في الحب خلال مدة قصيرة كهذه.

قالت ذلك مع ادراكها انها وقعت في حب ريك منذ اللحظة الاولى.

فأجابها بريان قائلاً:

ـ ولكني وقعت في حبك... والآن ارجوك يا روبن ان تقبلي بلقاء والديّ. فهما متشوقان الى هذا اللقاء.

وخشيت روبن ان يكون لقدوم والدي بريان غرض آخر. وهو ان ينذراها بترك ولدهما وشأنه. فقالت لبريان:

ـ لا أقدر يا بريان. فمن السابق لأوانه ان نتأكد من شعور واحدنا نحو الآخر، وليس من الانصاف لوالديك ان نزجهما في وضع هكذا.

ولم يرق هذا الكلام لبريان، ولكنه ابتسم قائلاً:

ـ اذا نجحت في تأجيل قدومهما هذا الأسبوع، فهل تعديني ان تنزلي ضيفة عندنا في لندن قريباً؟

لندن؟ لكن ريك في لندن. كانت متأكدة من ذلك، غير ان هذا لا يعني انها ستلتقيه بحكم الضرورة. فلندن مدينة كبيرة يسكنها ملايين الناس.

فأجابته روبن بهدوء:

ـ لن أعدك بشيء يا بريان. ولكني سأفكر في الأمر.

ـ صحيح؟

ـ نعم، سأفكر في الأمر، شرط ان لا تعود الى الحديث عن الحب. فهذا، كما ذكرت لك، سابق لأوانه.

ـ وعلى كل حال لن أغير رأيي... وسترين.

وبالفعل، كان بريان يتلفن لها باستمرار بعدما أنهى أيام عطلته وعاد الى لندن. وكانت روبن تفتقده وتفتقد عشرته وكيف كان دائماً يثير فيها الضحك والابتسام.

وقالت لها والدتها مرة:

ـ يبدو لي انه شاب ظريف.

ـ ظريف جداً.

وكانت روبن تعرف ان والديها ينظران بعين الرضى الى علاقتها مع بريان على اثر تلك العلاقة المضطربة التي كانت بينها وبين ريك.

ونظرت اليها والدتها متسائلة:

ـ ولكن لهجتك لا تدل على انك متحمسة له.

ـ أنا متأكدة اني اميل اليه... ولكني لست متأكدة من اني اريده ان يحمل علاقتي به على محمل الجد...

ـ وهل يفعل؟

ـ نعم، ويطلب مني ان أنزل في ضيافة والديه في نهاية هذا الأسبوع.

ـ وهل ستلبين طلبه؟

ـ لا أدري. لم أتغلب بعد تماماً على شعوري نحو ريك.

وهذا صحيح. فمع انها تميل الى بريان، الا انها لم تقتنع بعد بأن ريك خرج من حياتها الى غير رجعة.

فقالت لها والدتها:

ـ قد تكون زيارتك للندن في نهاية الاسبوع هي ما أنت بحاجة اليه الآن، فلعلها تساعدك على التقرير.

ـ أواثقة أنت من ذلك؟

ـ نعم، ولا ضرر في المحاولة.

ـ ولكن، أليس لقائي بوالديه دليلاً على الجدية في علاقتنا؟

ـ ليس بالضرورة... والبرهان على ذلك لقاؤنا، أنا ووالدك ببريان.

ـ ولكن هناك فرقاً بين اللقاءين...

ـ ربما. وعلى كل حال لا أرى ضرراً من التعرف الى والديه. وبعدئذ، فلكل حادث حديث.

فأشرق وجه روبن وهي تقول لوالدتها:

ـ هل يسمح لي والدي بالذهاب؟ فهو ازداد غيرة علي بعد الذي جرى مع ريك.

ـ هذا شأني. فأنا أتولى اقناعه. وما عليك الا ان تقومي بالترتيبات اللازمة مع بريان.

ولم يمانع والدها، بل انه نقلها بسيارته الى المحطة بطيبة خاطر. وعند وصولها بالقطار الى لندن، كان بريان في استقبالها، فتعانقا بحرارة متبادلة، حتى خيل لروبن انها قد تقع في غرامه يوماً ما ليس ببعيد.

ووجدت روبن بيت آل ووكر كما خشيت ان يكون، سواء من حيث ضخامته وفخامته أو من حيث كثرة الخدم والحشم فيه. ولم تكن معتادة على طريقة العيش فيه، خصوصاً وجود الخدم الذين لم يتركوا لها أية فرصة لتدبير أمورها بنفسها، بل كانوا يهرعون الى خدمتها في كل شاردة وواردة.

وكان السيد ووكر وزوجته يتناولان طعام الغداء خارج المنزل حين وصلت مع بريان من المحطة، ولذلك كان عليه ان يريها غرفة النوم التي ستشغلها.

وقال لها بفخر:

ـ هذه أفضل غرفة للضيوف في بيتنا.

وكانت الغرفة فخمة بالفعل، ولها حمام خاص، وهو شيء لم تنعم به روبن في حياتها من قبل.

وقال لها بريان:

ـ ستلتقين أخويّ فيما بعد. فهما مدعوان الى تناول طعام العشاء عندنا هذا المساء. كلاهما متزوجان، ولذلك سيصطحبان زوجتيهما.

وبدا لروبن ان العشاء سيكون عشاء عائلياً حميماً، وهو ما تمنت ان تتحاشاه.

فقالت لبريان:

ـ أرجو الا تكون والدتك تحملت أي عناء من أجلي.
ـ لا، مطلقاً. وسنقيم سهرة هنا بعد العشاء أيضاً.
ـ سهرة؟
ـ نعم، لمناسبة مرور خمس وثلاثين سنة على زواجهما.
ـ آه يا بريان، لماذا لم تخبرني بذلك؟ من الواجب ان أقدم لهما هدية؟
ـ هما لا ينتظران ذلك منك. وحين اخبرتني انك قادمة في نهاية هذا الأسبوع لم اجرؤ على ذكر هذه المناسبة، لئلا تغيري رأيك.
ـ نعم كنت غيرت رأيي.
ـ أرأيت؟ هذا ما خشيت منه. على كل حال، فالسهرة ستكون بسيطة، فهي تقتصر على حضور نحو خمسين مدعواً.
ـ خمسون؟ وتعتبرها سهرة بسيطة؟
ـ من وجهة نظرنا، نعم. فالسهرة تضم عادة نحو مئتي شخص. ولكننا هذه المرة اختصرنا عدد المدعوين لأن صحة والدتي ليست على ما يرام هذه الأيام.
ثم نظر اليها متأملاً، وتابع كلامه قائلاً:
ـ ربما يهمك ان تعلمي ان والديَّ اقتنعا بدخولي معهد الفنون.
ـ صحيح؟
ـ نعم، ولكن بشرط ان انتقل الى معهد الطب في السنة المقبلة اذا لم انجح في معهد الفنون.
وهنا طلبت روبن منه ان يصطحبها الى السوق لشراء هدية لوالديه بمناسبة عيد زواجهما. فاعترض بريان على ذلك، ولكنها أصرت قائلة:
ـ هيا بنا يا بريان... أرجوك.
فذهبا الى السوق، وفي آخر الأمر اشترت روبن قطعة صغيرة من الفخار الصيني، لأن بريان أخبرها ان والدته من هواة هذا النوع. وبالفعل، اظهرت السيدة ووكر سرورها الشديد بالهدية حين قدمتها

روبن اليها قبل العشاء.
وفوجئت روبن، بخلاف ما توقعت، ان السيد ووكر وزوجته على جانب كبير من التواضع والتسامح. وكانا، رغم تقدمهما في السن وسنوات زواجهما الطويلة، يتبادلان الحب والاعجاب. وكان السيد ووكر يعتز بزوجته، خصوصاً لأنها انجبت له ثلاثة بنين يحملون اسم العائلة وارثها العريق في الشرف والرفعة.
غير ان أخوي بريان لم يكونا تماماً كوالديهما. اذ لمحت روبن لديهما ميلاً الى الكبرياء. وكانت دولشي زوجة احدهما المدعو اندرو امرأة جميلة تفتخر بجمالها وتستغله للسيطرة على زوجها. اما جوان زوجة الأخر المدعو ريتشارد، فكانت على العكس. ولذلك فضلتها روبن على المرأة الأخرى.
ولم يكن العشاء كما توقعته روبن ان يكون. ذلك ان جميع المدعوين اعتبروها، بكل بساطة، صديقة لبريان ولها الحق ان تكون بينهم.
وبعد العشاء، بدأ السيد ووكر مع ولديه يتحدثان عن موضوع طبي، ومال بريان الى جانب روبن وابتسم قائلاً:
ـ هذه هي الحال دائماً...
فبادرت دولشي، زوجة اخيه اندرو، الى القول:
ـ ليس دائماً. وانت كنت تفعل اسوأ من ذلك، اذا لم تقتد بأخويك اندرو وريتشارد...
ـ أنا؟ وكيف ذلك؟
وكانت دولشي شقراء الشعر، ناعمة الملمس، زرقاء العينين ولذلك كان أقل انفعال يؤثر فيها كأنه الغضب الشديد.
فأجابت بريان قائلة:
ـ أعني اذا درست التمثيل. فهو اسوأ بكثير من الطب من هذه الناحية. ألا توافقين يا جوان؟
فأجابتها جوان، زوجة ريتشارد، بلهجة حائرة:

ـ لا ادري... كل ذلك يتوقف على ماذا يريده بريان.

ـ كلا، هذا لا يتوقف عليه... الآن هو يظن انه يريد ان يصبح ممثلاً، وفي السنة المقبلة يغير رأيه ويريد شيئاً آخر... ربما الانضمام الى فرقة من فرق المغنين الشعبيين!

فقطب بريان جبينه قائلاً لها:

ـ لا تكوني غبية... فأنا لا أصلح لذلك لأنني جاوزت حد التاسعة عشرة من العمر.

فابتسمت روبن اعجاباً بسرعة خاطر بريان ودعابته، مما ازعج دولشي، فقالت لبريان:

ـ اظن ان على والديك ان يجبراك على دخول معهد الطب. فذلك على الأقل يعلمك الاتزان والثبات على شيء.

ـ لا يبدو ان الطب علّم اوليفر شيئاً من ذلك...

ـ ما جرى لأوليفر لم يكن خطأه... فبعض النساء لا يتحملن ضغط الحياة الناجم عن الزواج بطبيب، خصوصاً اذا كان الطبيب مشهوراً كأوليفر.

فقال لها بريان ساخراً:

ـ اذا كان الأمر كذلك، فلماذا تركته زوجته ميلاند لتتزوج طبيباً آخر؟

فتصدت جوان للرد عليه بالقول:

ـ لأن لا عقل لها... وعلى كل حال، فأنا لا أسمح لك بالحديث عن أخي بهذه الطريقة.

فنظرت روبن اليها بدهشة، لأنها فضلتها لأول وهلة على دولشي التي كانت تشبه السيدة ووكر اكثر من أولادها جميعاً.

وقال بريان لدولشي معتذراً:

ـ لا تؤاخذيني يا دولشي!

فبادرته دولشي الى القول:

ـ مسكين اوليفر... كم احزن عليه.

فتدخلت جوان في الحوار وقالت لها:

ـ لا حاجة به الى من يحزن عليه.

ـ هل تظنين انه سيصطحب شيلا الى سهرة الليلة؟

ـ بكل تأكيد... فهي قريبتي.

ولم تكن روبن تعرف من هو اوليفر ولا من هما ميلاند وشيلا، ولكن اوليفر بدا من كلامها عليه انه شاب ضعيف الشخصية، أفسح في المجال لزوجته ميلاند ان تتركه، فاستبدلها في الحال بفتاة اخرى تدعى شيلا. وهذا ليس من صفات رجل يثبت على موقفه.

وقال بريان لروبن بعد ان ابتعدت جوان ودولشي عنهما:

ـ ما رأيك فيهما؟

ـ انهما تثيران اعصابي.

ـ وأنا كذلك. ولاحظت ان جوان اثارت دهشتك.

ـ بعض الشيء.

فضحك بريان قائلاً:

ـ انها تخيف زوجها ريتشارد حتى الموت!

ـ لا أستطيع ان اصدقك...

ـ بلى، صدقيني. فهي تبدو هادئة رصينة، ولكنك اذا أثرت غضبها، فالويل لك... ومن حسن حظنا، أنا ودولشي، اننا نجونا من غضبها حين تكلمنا على أخيها. فهي تحبه حباً شديداً.

ـ وهل كان أوليفر متزوجاً بميلاند؟

ـ ليس تماماً...

وألقى يده على ذراعها قائلاً:

ـ والدي، على ما يبدو، يريدنا ان نذهب ونستقبل الضيوف معه.

فأجابت روبن وهي لا تريد ان تظهر كأنها جزء من العائلة:

ـ اعذرني يا بريان.

ـ هذا لا يمكن. يجب ان تأتي معي.

وأصرت روبن على الرفض، فغادرها بريان ووقف مع أفراد

عائلته يستقبل الضيوف. وادركت وهي غارقة في التفكير ان آل ووكر عائلة منغمسة جداً في الحياة الاجتماعية، بحيث لا تستطيع ان تتحمل ذلك كما توقعت. وهذا ما أدّى بها الى الاعتقاد انها لا تصلح لتكون زوجة لبريان.

وكانت، على كل حال، تسترعي انتباه المدعوين لجمالها وأناقتها وحسن هندامها، ولكن احداً لم يتساءل بينه وبين نفسه ماذا جاء بها الى السهرة. وشعرت بالارتياح عندما عاد اليها بريان بعد قيامه بواجبه كمضيف.

- هل حضر جميع المدعوين؟

- نعم، ما عدا اوليفر وشيلا. وربما لن يحضرا، فمثل هذه المناسبات لا تروق لهما كثيراً.

واخذت روبن تتحدث الى جوان التي كانت هادئة الطبع مثلما رأتها لأول مرة. وفجأة دخلت القاعة أجمل امرأة شاهدتها روبن في حياتها.

لم يكن جمالها خارقاً بقدر ما كان باهراً. فجدائل شعرها الأحمر الغامق بدت كشلال من النار فوق كتفيها، وبشرتها الناعمة لوحتها أشعة الشمس. وكانت ترتدي فستاناً حريرياً أسود على قامة هيفاء بانت انحناءاتها وتعاريجها الفاتنة.

وبدت واثقة من نفسها، على الرغم من ان أنظارها كانت تجول بعصبية في أرجاء القاعة، حتى وقعت على جوان.

فقالت جوان لروبن:

- هذه زوجة أخي. تعالي لنسلم عليها يا روبن.

اذن هذه شيلا، ولكن أين أوليفر؟ وسرعان ما جاء الجواب على هذا السؤال من شيلا نفسها التي قالت:

- تأخر قليلاً في المجيء، ولن يطول تأخره.

وقالت لها جوان:

- أعرفك بروبن، صديقة بريان.

فحدقت اليها سيلا بعينيها الخضراوين وهي تمد يدها لمصافحتها وتقول:

- يسرني التعرف اليك.

وقالت جوان لشيلا:

- هل لي ان أعرف لماذا تأخر اوليفر؟

- أنت تعرفين أوليفر وطباعه.

- نعم، أعرفها أكثر من أي كان. هذا مؤسف حقاً، هل غادر المدينة ثانية في المدة الأخيرة؟

- لا أعلم، ولكن لا تقلقي يا جوان، فهو لا بد ان يأتي قريباً جداً.

وابتعدت روبن بلباقة وهي تتساءل كيف ان رجلاً يؤثر كل هذا التأثير في حياة هاتين المرأتين. فلا بد ان يكون رجلاً شديد الأنانية.

ولم ترق السهرة كثيراً لروبن. فنصف المدعوين كانوا أطباء، والنصف الآخر زوجاتهم. وعجبت كيف ان بريان لم يستسلم للضغط، فيختار الطب مهنة له. فهل يكون اختياره للتمثيل مجرد نزوة من نزواته، على ما قالت دولشي، تتيح له الاستقلال عن محيطه والحرية في تدبير أمور حياته؟

وجمدت في مكانها حين رأت الرجل المنتظر يعبر القاعة متجهاً نحو السيد ووكر وزوجته. كان رجلاً يختلف كل الاختلاف عن الذي تعرفت اليه في اورشرد هاوس! ذلك انه كان يسير بخطى متزنة وهو يرتدي بزة فاخرة، رائعة الهندام، وقميصاً من الحرير. وكان شعره مسرّحاً لا عيب فيه.

ومع ذلك كان هو ريك... ريك الذي تعرفت اليه بثيابه العتيقة وشعر رأسه المهمل. أما الآن فرأته معتداً بنفسه، يتصرف كما اعتاد ان يتصرف أبناء الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها. ولم يكن يبدو عليه ان ضلوعه تعيق سكناته وحركاته.

وتوارت روبن وهي تراقبه يصافح السيد ووكر وزوجته ويحدثهما

لبضع دقائق، قبل ان يتجه الى لقاء جوان وشيلا.

وأقبل بريان، في هذه الاثناء، نحو روبن وهو يقول لها:

- أين كنت؟ قضيت وقتاً طويلاً أفتش عنك.

فقالت له:

- من هو ذلك الرجل الذي يتحدث الى جوان وشيلا؟

- انه اوليفر!

- اوليفر؟

- اوليفر بندلتون أخو جوان. وهو أهم شخصية هنا في السهرة.

وأحست روبن كأن الدنيا أطبقت عليها، وكأن الوجود كله يتلاشى في مخيلتها. كان الحظ في مقابلة ريك، خلال وجودها في لندن، لا يزيد عن واحد في المليون، ومع ذلك ها هو أمامها وجهاً الى وجه.

وتناول بريان كأسين عن الطبق الذي كان يحمله الخادم ويطوف به، وقدم واحدة لروبن.

وقال لها عن ريك:

- انه اخصائي، واخصائي ذائع الصيت، ومؤلف شهير في حقل اختصاصه. حتى والدي يستشيره في بعض الحالات الطبية. والآن ما دام اوليفر حضر السهرة، فدعينا نشرب نخب والدي.

وكان ريك هو الذي اقترح ان يشرب الجميع نخب الزوجين السعيدين. كان صوته تماماً كما عرفته روبن، ولكنها لم تستطع ان تسمع الكلام الذي قاله مهنئاً لهذه المناسبة. الا انها ادركت من تجاوب الحضور ان كلامه كان بارعاً ومثيراً للاعجاب.

وساءها ان يكون ريك هوارث هو أوليفر بندلتون، ولكن الذي ساءها أكثر من ذلك، هو زواجه بالحسناء شيلا. وهذا ما لا تستطيع غفرانه.

٧ - اغلقت قلبها على ندائه وهي تلوم نفسها على انها لا تزال تنجذب اليه، رغم انه خدعها وتلاعب بعواطفها على نحو شرس لا يغتفر...

وكيف تستطيع ان تغفر له روبن؟ ففي الوقت الذي كان يعانقها ويريدها كان متزوجاً بشيلا... تلك المرأة الرائعة الجمال التي لا يمكن لروبن ان تنافسها. فلا عجب ان يرفض التورط في علاقته بها، وهي فتاة عادية بالنسبة الى زوجته الحسناء.

ولا عجب ايضاً ان يبدو اسم اوليفر بندلتون مألوفاً لديها. كان مؤلفاً شهيراً، ومن مؤلفاته ذلك المجلد الطبي الضخم الذي وقع مرة على اصابع قدمها وهي ترتب الكتب على الرفوف.

ولكن لماذا اقام في القرية باسم ريك هوارث؟ ولماذا كان يلبس ويعيش كما كان يفعل؟ ومهما يكن الجواب على هذين السؤالين، تبقى الحقيقة الناصعة، وهي انه كان يكذب عليها ويخدعها حين اخبرها ان لا زوجة له.

وقال لها بريان وهي غارقة في مثل هذه التأملات:

- اتريدين ان تتعرفي اليه؟

فتطلعت الى بريان بذهول وأجابت قائلة:

- كلا! يبدو لي انه منشغل بالحديث.

- هذا لا يهم. تعالي معي. جميع صديقاتي كن يتشوقن للتعرف اليه..

اذن، كانت على حق حين ادركت ان وجودها هنا مع بريان لم يكن شيئاً غير عادي في نظر عائلته. غير ان بريان في كلامه هذا ذكرها

بأنها كانت تحضر السهرة بوصفها صديقته الخاصة لا احدى صديقاته. وهي بوصفها كذلك لا حاجة بها الى الخوف من مقابلة ريك. وفضلاً على ذلك، فانها ادركت ان من المستحيل تجنب لقائه بطريقة أو بأخرى في تلك السهرة.

وهكذا سمحت لبريان ان يسير بها الى حيث وقف الآن ريك يتحدث الى جوان. وكانت شيلا ابتعدت عنهما لتتحدث الى بعض المدعوين.

وكانت جوان تقول لريك بغضب:

- لو لم تكن اخي، لأخبرتك كم ان تصرفاتك لا تليق برجل مثلك!

فأجابها بهدوء قائلاً:

- لا الومك... ولكن خففي عنك قليلاً.

- لو كانت الحفلة حفلتي لما سمحت لك بالدخول في هذه الساعة المتأخرة.

- لو كانت حفلتك، لما حضرت...

وكادت جوان تنفجر غيظاً وهي تقول له:

- حسناً... يا لك من...

فقاطعها قائلاً بابتسام:

- خففي عنك يا اختي الصغيرة. انت تعلمين جيداً اني لا احب حضور مثل هذه الحفلات والسهرات، وانما حضرت الليلة لأن المناسبة استثنائية وهي ذكرى زواج السر وجان.

وهنا قال بريان لروبن:

- حان ان نقطع عليهما هذا الحديث. جوان تخسر دائماً في جدالها مع اوليفر... وكذلك الجميع.

وتذكرت روبن كيف كان دائماً يتغلب عليها في جدالها معه، فتأكدت من صدق كلام بريان.

وهنا اقترب بريان وروبن من ريك، حالما تركته جوان وهي في

حالة من الانفعال الشديد.

وقال له بريان:

- اتسمح لي ان اقدم اليك صديقتي يا اوليفر...

وتطلع اوليفر، وحين وقعت عيناه على روبن صاح قائلاً:

- روبن! روبن كاسل!

ثم تمالك نفسه واستدرك قائلاً بلهجة رصينة:

- الآنسة كاسل.

فقالت روبن بشيء من التحدي:

- هذه مصادفة نادرة، يا سيد بندلتون.

- اوليفر... فقط اوليفر!

فلم تجب، بل حدقت اليه بهدوء. وساد الصمت قليلاً، قبل ان يلتفت الى بريان قائلاً:

- بريان... هل لك ان تجلب لي وللآنسة كاسل كأسين من العصير؟

وتركهما بريان ليجلب الكأسين فقال لها ريك:

- روبن! ماذا تفعلين هنا؟

فنظرت اليه ببراءة وهي تنزع ذراعها من قبضته:

- اظن ان بريان اجاب على سؤالك. انا هنا كصديقة له.

- روبن!

- الآنسة كاسل... ارجوك!

فانفجر قائلاً:

- انت روبن... والى الجحيم بالآنسة كاسل! لم اصدق عيني حين وقعتا عليك هنا.

- آسف ان كنت فاجأتك بحضوري.

- يا لها من مفاجأة سارة. فأنا لم افكر الا فيك طوال الأسابيع الأخيرة... والآن ها انت هنا.

- نعم. انا هنا. وبريان شاب رائع، اليس كذلك؟

- وكيف التقيت هذا الشاب الرائع؟
- في النادي. . . ربما لا تعرف ما هو النادي.
قالت ذلك بقصد الاهانة. ولكنه اجاب قائلاً:
- نعم، اعرفه. ذهبت الى ناديين أو ثلاثة بعض المرات.
- اصحيح هذا؟
- نعم. آه يا روبن، كم افتقدتك!
وقسّت قلبها على نداء الاغراء في لهجته، وهي تلوم نفسها على انها لا تزال تجده جذاباً، على الرغم من انه خدعها وتلاعب بعواطفها على نحو شرس، فضلاً على انه استهتر بمشاعر والديها، وخصوصاً والدتها التي كانت تعطف وتحنو عليه وترسل اليه الطعام.
وعزمت روبن ان لا تقع في حبائله الآن. فليذهب الى زوجته او اية امرأة اخرى تقبل به، وليدعها وشأنها الى الأبد.
وقالت له:
- يبدو ان ضلوعك شفيت.
- لكل شيء آخرة. آه يا روبن. . . تلك الليلة. . .
فقاطعته قائلة بلهجة ساخرة:
- نعم. . . تلك الليلة يجب ان ننساها.
- انت تقصدين انه يجب ان انسى انك صارحتني بحبك لي؟
- وهل صارحتك بذلك حقاً؟ يا الهي! ما كان اشد وقاحتي ان كنت فعلت. والآن اخبرني يا سيد بندلتون، ما هو حقل اختصاصك؟
- علم التوليد.
- وهل تحب هذا العلم؟
- نعم. فأنا افرح كثيراً حين اخرج حياة جديدة الى الوجود!
فعضت روبن على شفتها لفكرة خطرت لها، وقالت:
- هل لك اولاد؟
- كلا.

- يبدو لي انك صادق في ما تقول.
- وأنا كذلك يا روبن!
وهنا جاء بريان يحمل كأسين من العصير فتناول ريك كأسه وقال لبريان:
- اريد الخروج من هذه الزحمة، وروبن قبلت ان ترافقني.
وقال بريان وهو يلقي يده على كتف روبن:
- مسكينة روبن. . . وجدت نفسها في هذا المغطس العائلي. ولم يكن هذا ما توقعت. كنت انوي ان اعرفها اليكم جميعاً في غير هذا الجو.
فنظر ريك اليه ثم الى روبن بعينين متسائلتين قائلاً:
- هل افهم من كلامك انكما. . .
فقاطعه بريان مبتسماً:
- لا تستعجل الأمور يا اوليفر. فأنا لا ازال احاول اقناع روبن بأني الرجل اللائق بها. ولكنها ترى ان من الخير لنا الانتظار.
فالتفت ريك الى روبن قائلاً:
- هل هذا صحيح يا روبن؟
فعضت على شفتها وأجابت بعصبية ظاهرة:
- اظن ان من الضرورة التعرف جيداً الى الشخص قبل معرفة حقيقة شعورك نحوه، والا كان الأمر مجرد انفعال عابر.
- هل انت بالفعل تعتقدين ذلك؟
ولم تكن روبن بالفعل تعتقد ذلك، بل كانت تعتقد ان الحب يمكن ان يجتاح الانسان من اول نظرة، سواء كان في محله أو لم يكن. ولكنها اصرت على رأيها قائلة:
- نعم، يا سيد بندلتون. كثيرات من النساء يغرّهن من الرجل منظره الخارجي الجذاب، ولكنهن يحتجن الى وقت كاف لمعرفة حقيقة شعورهن نحوه. . .
- انا متأكد انك لست من اللواتي ينفعلن بسرعة!

فتدخل بريان في الحديث، فقال:

- ليس هذه المرة على كل حال. فروبن تعرف جيداً شعوري نحوها، وآمل ان تبادلني قريباً هذا الشعور، لأنقل النبأ الى والدي قبل نهاية هذا الاسبوع.

ورفع ريك عينيه الى روبن وقال لها:

- هل انت ضيفة في هذا البيت؟

- نعم، الى يوم غد.

- وبعده تعودين الى اهلك؟

- نعم.

وقال لها بريان وهو لم يدرك بعد ان ريك وروبن التقيا قبل الآن:

- كانَ اوليفر منذ بضعة اسابيع مقيماً في جواركم... وهذا هو السبب الذي جعل والدي يرسلانني الى هناك، حيث يقيم عمي وعمتي.

وقال له ريك:

- زرت عمك جيم وعمتك ويلما عدة مرات خلال اقامتي القصيرة في تلك الأنحاء. وأشك في ان والديك توقعا عودتك من هناك وأنت تحمل اليهما نبأ عزمك على الزواج...

فقالت له روبن:

- لم يفعل ذلك حتى الآن يا سيد بندلتون...

وهنا نادته والدته، فاستاء لندائها واستأذن تاركاً ريك وروبن وحدهما، على امل ان لا يطيل غيابه.

وقال ريك لروبن:

- دعينا نخرج من هنا في الحال.

وأمسكها بذراعها وسار بها نحو الباب، فخرجا الى الممر ومنه الى غرفة اخرى. فأغلق الباب وراءهما وقال:

- الآن اريد ان اسمع منك شرحاً مفصلاً عن هذا الذي تسمينه انفعالاً عابراً.

وكان أنذرها مراراً من قبل انه رجل مخطر بالفعل.

- هيا. اريد ان تجيبيني الى طلبي.

فابتعدت روبن عنه وهي تقول:

- ارجوك ان تفتح باب الغرفة، لئلا يتساءل الناس ماذا نفعل وحدنا هنا؟

- لا احد رآنا ندخل الى هنا. وعلى كل حال، فلا ابالي على الاطلاق!

- ولكن انا ابالي. بربك يا ريك دعني وشأني.

وأخذت تشهق بالبكاء حين امسك بذراعيها وجذبها نحوه بعنف قائلاً:

- ارأيت؟ كيف اصبحت «ريك» ولم اعد السيد بندلتون؟

وحاولت روبن مقاومته وهي تقول:

- انت السيد بندلتون... وهذا هو اسمك.

- واسمي ايضاً ريك هوارث.

- دع المزاح جانباً.

- اتريدين الحقيقة؟ اسمي اوليفر ريتشارد هوارث بندلتون.

- ما هذه العظمة؟ ولماذا كنت فقط ريك هوارث في ستانفورد؟

- لأني لم اكن اعيش هناك كما يعيش اوليفر بندلتون هنا!

- هذا مضحك حقاً...

وحاولت الافلات منه الا انه ازداد تمسكاً بها وهو يقول:

- فعلت ذلك لا لأخدعك يا روبن. كنت بحاجة الى العزلة والراحة، فاضطررت الى الاختباء وراء اسم ريك هوارث. وكنت خاطباً وفي نيتي ان اتزوج...

- نعم، سمعت بزواجك السعيد بعد ذلك...

فتجهم وجهه قائلاً:

- كيف سمعت؟

- من احدهم.

- لعلها دولشي، اليس كذلك؟
- ربما. لست متأكدة.
- بلى، دولشي. فهي تحب استطلاع اخبار الآخرين. ليتها تنجب ولداً، فربما يشغلها عن الثرثرة.
- هذا حل الرجل لمشاكل المرأة!
- ما لنا ولهذا الآن يا روبن، افتقدتك كثيراً. ويعلم الله كم عانيت بعد مغادرتي اورشرد هاوس!
- اجرة تاكسي الى المحطة، لا اكثر ولا اقل.
- لا، يا روبن!
ولم تعد تطيق الوقوف بقربه هكذا، فقالت:
- بربك دعني الآن، والا اضطررت الى الاستغاثة.
وعوض ان يفعل ما طلبت منه، جذبها اليه وأحاطها جيداً بذراعيه. ثم اخذ يعانقها بشغف وولع. ولم تقاومه روبن، ولكنها في الوقت نفسه لم تستسلم اليه.
- اسأت اليك في ستانفورد يا روبن، خصوصاً حين غادرتها بغتة كما فعلت. والآن ادركت ان لا مشكلة على الاطلاق في كوني اكبر منك سناً. فأنا اريدك ولن اقاومك يا روبن، بل سأستسلم اليك وأعيدك الى حياتي.
وكان من السهل اغراء روبن، خصوصاً وانها كانت تريده اكثر مما كان يريدها. غير انها لم تستطع نسيان شيلا، ولم تكن من النوع الذي يقبل مشاركة امرأة اخرى.
فابتعدت عنه بصعوبة. وسرها انها هي التي اصبحت تصد وتتمنع، بعد ان كان ريك هو الذي يفعل. وقالت له:
- ارجوك يا سيد بندلتون. لا اعلم ما هو الرد اللائق على طلبك، ولكن ردي انا هو: لا.
- انت تدركين اني اريد...
فقاطعته قائلة بحزم:

- ادرك تماماً ماذا تريد. ومهما يكن هذا الذي تريده، فجوابي سيبقى دائماً الرفض!
- اذن انت لا تحبينني!
- لا اعتقد اني احببتك من قبل. ستانفورد، كما لا بد انك لاحظت، مكان صغير جداً، ليس فيه ما يثير. وكنت انت عاملاً جديداً في حياتي، ويحيط بك لغز...
- اردت الكشف عنه... اهذا ما تريدين ان تقوليه؟
- ربما... والآن اصبح اللغز واضحاً.
- ورغبتك في الاستسلام الي... هل كان هذا جزءاً من اكتشاف اللغز؟
- لا انكر انني وجدتك جذاباً ومغرياً.
- لو انكرت لكنت غير صادقة.
- نعم. وماذا تعرف انت عن الصدق؟ قل لي: ماذا كنت تفعل في ستانفورد؟
- اكتب.
- كتباً طبية؟
- كلا. رواية ذات خلفية طبية.
- وهل كان عليك ان تبدو كالمتسول وأنت تفعل ذلك؟
وثارت ثائرة ريك وهو يجيب قائلاً:
- نعم. فبطل روايتي رجل ادرك ان امامه ستة اشهر فقط ليعيش اذا لم تجر له عملية جراحية. فقرر ان لا يرفض اجراء العملية، الى ان وقع في حب فتاة التقاها وهو في عزلته...
فعلا وجهها الاصفرار وقالت:
- اذن، فأنت استعملتني لغرضك!
- كلا...
- نعم. لماذا تكذب؟ كيف يحق لك ان تستغل الناس هكذا؟
- لم استغلك بأي طريقة من الطرق. وأنا لم اطلب منك الدخول

الى حياتي والتدخل في شؤوني، بل بالعكس كنت متضايقاً من ذلك جداً.

- لاحظت ذلك.

- اذن، فلم استعملك لغرض كتابة روايتي. التي استعملتها كانت من صنع الخيال، وهي فتاة اكبر منك سناً.

- ولكنك بادلتني الحب وحاولت اغرائي... اليس لديك مقاييس اخلاقية؟

- طبعاً لدي مقاييس اخلاقية.

- ليتك تعرف معنى هذا التعبير...

- ذكرت في كتابي ان الأخلاق هي الولاء لشخص ما.

- اهذا ما تقول؟

- نعم. وأريد ان اعرف لماذا لم تظهري ولاءك لي؟

فصاحت به وهي تتجه نحو الباب وتفتحه على مصراعيه:

- قد لا تكفيك امرأة واحدة. اما انا فيكفيني رجل واحد هو بريان!

وحاول الامساك بها ولكنها دفعته عنها وهي تصيح به:

- دعني وشأني.

وخرجت لتنضم الى سائر المدعوين في القاعة المجاورة.

وكانت تضطرب من شدة الانفعال وهي تفتش عن بريان، فيما كان ريك يتبعها. ولم تلبث ان وجدت بريان وكان هو الآخر يفتش عنها.

وقال لها عابساً:

- اين كنت طول هذا الوقت؟

- صعدت الى الطبقة العليا لأجلب منديلاً.

والتفتت الى الوراء، فرأت ريك واقفاً في الباب يراقبها بعينين غارقتين في الحيرة. وقال لها بريان:

- كان عليك ان تخبريني لكي ارافقك.

- خشيت ان يزعج ذلك والديك!

وكانت شيلا اقبلت نحو ريك في هذه الأثناء، وأخذت تتحدث اليه. وبدا عليهما انهما يهمان بمغادرة السهرة. فتنهدت روبن بارتياح، وودت لو ان شيلا لا تعرف ما فعله زوجها الآن أو منذ ثمانية اسابيع.

وقال لها بريان:

- ما بك يا روبن؟ ما الذي يسترعي انتباهك الى هذا الحد؟

- لا شيء يا بريان. والدتك تومىء اليك الآن.

فتضايق بريان من دعوة والدته له لتوديع الضيوف، وقال لروبن:

- تعالي معي. لا اريد ان افقدك مرة اخرى.

وتطلعت روبن الى حيث كان ريك وزوجته يودعان مضيفيهما، وقالت لبريان:

- ارجوك ان تعفيني من ذلك يا بريان. وأعدك اني لن اتحرك من مكاني.

- لا بل ستأتين معي!

وأمسكها بذراعها وسار بها الى حيث كان يقف والداه يودعان ريك وزوجته. وقال لها ريك:

- وداعاً يا آنسة كاسل.

- وداعاً يا سيد بندلتون.

وقالت لها شيلا:

- سررت جداً بمعرفتك يا روبن. وبريان اكد لي اننا سنتقابل كثيراً فيما بعد.

ونظرت روبن الى بريان، فرأت علامات الفخر والحب تشع في وجهه، فآلمها ذلك لأنها لن ترى بريان بعد عودتها الى البيت في نهاية الاسبوع، ما دامت لا تزال مغرمة بريك.

وأجابت قائلة:

- ربما، يا سيدة بندلتون.

- ارجو ذلك.

وهكذا تمنى ريك مؤكداً انه واثق من رؤية روبن مراراً في المستقبل.

فقال له بريان وهو يطوق بذراعه كتفي روبن:

- ليت لي ثقتك يا اوليفر!

- لا اظن انك بحاجة اليها يا بريان، لأن روبن اخبرتني انها من اللواتي يقتصرن على حب رجل واحد.

فنظر بريان اليها متسائلاً:

- اصحيح هذا يا روبن؟

- ليس تماماً يا بريان. ما قلته للسيد بندلتون اني احتفظ بالولاء كاملاً للرجل الذي اعاشره.

والتفت ريك الى بريان قائلاً:

- وأنت الآن الرجل المحظوظ يا بريان! وعليك ان تغتنم الفرصة خصوصاً عندما تكون المرأة شابة ومتقلبة كروبن!

فبادرته روبن الى القول:

- ليست متقلبة، بل تحسن الاختيار.

قالت ذلك لتثير غضب ريك، غير انها لم تنجح على ما بدا لها، وان كانت لمحت بريق التهديد والوعيد في عينيه الرماديتين.

وشعرت روبن بالارتياح بعد ان غادر ريك وشيلا السهرة، مع انها ودت لو ان بريان لم يكن مبالغاً في اغداق عواطفه عليها.

وقالت له وهي تودعه للذهاب الى فراشها:

- ارجوك يا بريان، لا تعانقني هكذا.

- لا احد سيعلم اني دخلت معك الى غرفتك. وسأغادرها قبل ان تحمل اليك الخادمة طعام فطورك في الصباح!

وحاولت ان تدفعه عنها، فقال لها وقد بدأ صوته يتهدج من شدة الغضب:

- لا تكوني متزمتة يا روبن. لا احد في هذه الأيام ينتظر مراسيم

الزواج!

- لو كنت انوي الزواج بك، ربما لم يكن علي ان انتظر.

وفوجئت برؤية الحمل الوديع الذي عرفته منذ اسابيع ينقلب الى اسد كاسر، وهو يشدها اليه بعنف فصاحت به:

- كلا، يا بريان. بربك دعني وشأني.

- لماذا؟ اؤكد لك انني لو كنت اوليفر لما كنت رفضت!

وثار غضبها لدى سماعها هذه التهمة، فانفجرت في وجهه قائلة:

- ماذا تقول؟

- رأيت كيف كنتما تتبادلان النظرات، انت لست من النوع الذي يعشقه اوليفر، ومع ذلك كان ميله اليك واضحاً لا جدل فيه.

فعضت روبن على شفتها قائلة:

- وهل له نوع معين؟

- نعم، مثل ميلاند وشيلا...

- شيلا؟ ولكن...

- نساء من هذا النوع لا يتطلبن منه شيئاً. واوليفر يريد الاحتفاظ بحريته. ميلاند كانت على وشك الفوز به، ولكنها تركته وذهبت.

- تركته وذهبت؟ الى اين؟

- الى عالم الأموات.

وهال روبن هذا الخبر وكاد يغمى عليها. وأخذت تردد قائلة:

- تعني انها ماتت؟

- نعم، منذ نحو ستة اشهر.

ومنذ ذلك الحين هل تراه تزوج شيلا؟ وهل تزوجها لأنه يحبها ام لشعوره بالوحدة بعد وفاة ميلاند؟ لا بد من ان تكون ميلاند عنت له شيئاً كثيراً، حتى تزوج بأخرى في مثل هذه السرعة.

وقال لها بريان:

- انت تميلين الى اوليفر، اليس كذلك؟

- كلا!

قالت ذلك وتفكيرها منصرف كل الانصراف الى ريك والمرأة التي احبها. ولكن ماذا عن المرأة التي تزوجها؟ كانت شيلا بندلتون على علم تام بأخطاء زوجها الجديد، غير انها تقبلت هذه الأخطاء. وأدركت روبن ان شيلا ليست من الشجاعة بحيث ترضى بأن يكون لريك نساء اخريات سواها، خصوصاً وانها كانت هي وحدها المرأة البديل.

وقال لها بريان:

- انت تكذبين... يا للمفارقة! دعوت صديقة لي الى بيتي، فوقعت في غرام صديق للعائلة، وهو من التقدم في السن بحيث يصح ان يكون والدها!

فبادرت الى الدفاع عن نفسها قائلة:

- انت مخطىء. فعمره لا يتعدى السادسة والثلاثين...

- وكيف عرفت ذلك؟

- انا... انا...

فقاطعها قائلاً بهدوء:

- يا الهي! لا بد انكما التقيتما من قبل.

- لا. لا. لم نلتق من قبل... يجب ان اذهب الى غرفتي الآن، لئلا نزعج سائر اهل البيت.

- كلهم نيام الآن! ولكني اوافقك على ضرورة دخولك غرفتك الآن. ولكن اعلمي اننا لم نكمل حديثنا هذا.

وفتح لها الباب ودفعها الى الداخل. ولم تكذب حين قالت انها لم تعرف ريك... فهي بالفعل لم تعرفه.

وقال لها بريان:

- اذن، لماذا لا تتزوجينني؟

- لأني لا احبك. وهذا لا علاقة له بريك... اوليفر... اعني السيد بندلتون.

وحدق اليها بريان والشك يداخله وقال:

- نعم. كان اوليفر في المقاطعة التي تسكنينها، قبل ان يمرض.

- يمرض؟ تعني اصابته بكسور في اضلاعه؟

- اذن، انت تعرفينه من قبل، والا لما كنت على علم بالكسور في اضلاعه...

- من الممكن ان يكون اخبرني بذلك الليلة.

- كلا، هذا ليس من المواضيع التي يأتي على ذكرها رجل مثله وفي سهرة كهذه.

وحارت روبن بماذا تجيب. وعضت على شفتها قائلة:

- قد يكون ان احداً ذكر الحادثة امامي.

- من؟

- دولشي! نعم دولشي!

فأجابها بريان بازدراء:

- لا. لا دولشي لا تتطرق الى هذا النوع من الأحاديث، ولا يمكن ان تخبرك بأن اوليفر كان في المستشفى...

- ولكنه لم يكن في المستشفى...

وتنهد بريان وقال بفروغ صبر:

- والآن يا روبن... كفاك خداعاً وكذباً!

فنظرت اليه بتضرع قائلة:

- حسناً. اعترف لك اني التقيت اوليفر من قبل. ولكن لم يحدث بيننا شيء مما تفكر فيه.

وبدا عليه كأنه تلقى صدمة قوية، فقال:

- احببتك يا روبن... احببتك من كل قلبي!

ولم تجد روبن ان الوقت كان ملائماً لتذكره بأنه استعمل الفعل الماضي، فلمست ذراعه قائلة:

- انا آسفة يا بريان.

- اذن، هذا هو الرجل الذي اخبرتني عن حبك له...

- هل يفيدني نكران ذلك؟

- لا.
- اذن، لن الجأ الى النكران.
- وماذا جرى بينكما؟
- لا شيء. تركني وذهب دون وداع. والآن علمت لماذا. فهو مولع بشيلا.
- نعم، عاد لأنها كانت بحاجة اليه ولم تستطع فراقه... ولكن من هو اوليفر، هذا غير مهم، فهو يكون سعيداً حين لا يعرف احد عنه شيئاً. انه رجل يعشق العزلة.
- لاحظت عليه ذلك.

ولاحت على وجه بريان ابتسامة عابرة. فخيبة امله في الفوز بروين لم تطل. ذلك لأن غرامه بها كان سطحياً، مهما ادعى خلاف ذلك. كانت تعني له وسيلة اخرى من وسائل تمرده على اهله ومحيطه.

وقال لروين:
- كان يعيش في عزلة في ستانفورد، اليس كذلك؟
- نعم. ولكنك اخبرتني انه كان في المستشفى.
- اضطر الى دخول المستشفى بعدئذ لأن رئته اصيبت بالعطب.
- وهل كانت الاصابة خطرة؟
- الى حد ما. وخشينا ان تقضي عليه، ولكنه الآن شفي تماماً.
- وهل طالت اقامته في المستشفى؟
- بضعة اسابيع.
- وهل انت متأكد انه شفي تماماً؟
- نعم، وما عليك الا ان تسأليه. ولا اظنك ستفعلين لأنكما لم تكونا على حسن مودة الليلة.
- هذا صحيح.

وسيبقى صحيحاً، لأنهما لن يلتقيا مرة اخرى على الأرجح، لأن ريك كان في اعتقادها رجلاً متزوجاً.

٨- كيف يحق لريك ان يعتقد انه ما ان يومىء اليها حتى تسرع بالمجيء؟ ولكنه سيرى خطأه، فهي لن تلعب هذا الدور أبداً.

ولم يكن فراق روبن لبريان في اليوم التالي صعباً. ذلك انه استسلم الى الواقع، وهو انها لا تريد ان تراه ثانية، الا كصديق تجمع بينهما علاقة بريئة.

ووجدت روبن نفسها محرجة أمام والديه، بعد ان تقرر نوع علاقتها به. غير ان السيد ووكر وزوجته عاملاها باللطف ذاته الذي عاملاها به منذ البداية، على الرغم من ان روبن كانت متأكدة ان بريان أخبرهما بالأمر.

ورافقها بريان الى محطة القطار مودعاً، وقال لها:
- آسف لأن النجاح لم يكن حليفنا.

فلمست خده بيدها وقالت من كل قلبها:
- وأنا آسفة أيضاً.

وناولها بريان بعض المجلات والحلوى قائلاً:
- سفراً سعيداً.

فشكرته على اهتمامه وتمنت لو انها استطاعت ان تنسى ريك مع رجل آخر. هذا مع العلم ان الحظ لم يساعدها، اذ انها التقت ريك مرة اخرى، فعاد اليها حبها القديم له.

ولكن لا فائدة من التمني على ما يجب ان يكون، كما ان لا نهاية لمثل هذا التمني، فما الفائدة، مثلاً، من التمني لو كان ريك غير متزوج، أو انه مغرم بها كما هي مغرمة به؟

وقالت لها والدتها حال وصولها الى البيت:

- هل قضيت وقتاً ممتعاً يا ابنتي؟

وكان والدها منهمكاً بمطالعة الصحيفة، وبلي خارج المنزل كالعادة.

فاجابت روبن قائلة:

- نعم، يا أماه.

وأخذت تخبرها عن الحفلة الساهرة التي حضرتها، ولكنها لم تذكر مقابلتها لريك هناك، لأنها آثرت ان تدع ذكره يتلاشى من حياة عائلتها.

ولم تخرج روبن ثانية مع سلمى لقضاء السهرة، مع ان ذلك كان نافعاً لها، الا انها لم تشأ ان تظلم احداً من الشباب الذين قد يحاولون اقامة علاقة صداقة معها، خصوصاً اذا حاول أحدهم ان يجعل تلك العلاقة حميمة وجدية كما فعل بريان.

وقبلت سلمى قرارها هذا بروح طيبة. وكانت في هذه الاثناء ركزت كل اهتمامها بالعلاقة القائمة بينها وبين ألن ميتشيل وهو شاب بدأ العمل مؤخراً في المكتبة. ولكنه كان يميل الى مجالسة روبن اكثر من مجالستها. لا لأن روبن كانت تشجعه، بل لأنها كانت معجبة به منذ تعرفت اليه على مقاعد الدراسة. كان بارعاً في الألعاب الرياضية في المدرسة، ومحبوباً لدى الفتيات اللواتي كن يتسابقن للفوز منه بموعد. وكان يصدهن لأنه حصر اهتمامه بالرياضة وطمح الى ان يصبح فيها من البارزين. غير انه أصيب بحادثة في أعلى ساقه حالت بينه وبين بلوغ ما كان يتمناه ويطمح اليه.

وفوجئت روبن لما وجدته يعمل في المكتبة، مع انه بدا مسروراً بعمله هذا.

وقال لها مرة:

- كنت دائماً أحب الكتب.

وكانا جالسين معاً في الحديقة العامة التي جاءت اليها روبن مرة

مع ريك. وفي معرض حديثهما، قال لها ألن:

- لا تتعجبي من التغير الذي طرأ على سلوكي. فانا لم أعشق الرياضة يوماً.

- كيف لا، وكنت تكرس لها كل وقتك؟

- كنت أفعل ذلك لأن والدي أرادني ان أكون أعظم رياضي في العالم. وكان هذا حلمه منذ بدأت أمشي على قدمي.

- ألم يستشرك في الأمر؟

- لا. لأني بدأت أمشي قبل ان أتكلم!

وحاولت روبن ان تقول شيئاً، غير انه تابع كلامه قائلاً:

- أحببت والدي كثيراً، ولذلك اردت ان اجعله سعيداً.

- الحق معك... ولكن...

- جميعنا مضطرون الى لعب ادوار في حياتنا. خذي، مثلاً سلمى. فهي تظن انها يجب ان تسيطر على كل شاب تتعرف اليه وما ذلك الا لشعورها بعدم الاطمئنان والأمان في حياتها...

- هل تعني ما تقول؟

- نعم، على الرغم من انها تضحك وتمزح دائماً وتعطي الانطباع انها مستعدة للكلام مع كل رجل تصادفه. ولكن هذا ليس الحقيقة.

فدهشت روبن من نفاذ بصيرة هذا الشاب الذي لا يتعدى الواحدة والعشرين من العمر، والذي كان طويل القامة، وسيماً، مشرق الوجه، حسن الهندام.

وقالت تعليقاً على كلامه:

- كلامك هذا يدهشني حقاً.

- وهذا يفسر خسارتها لكل شاب تخرج معه مراراً. فهي ليست صادقة في شعورها، وشخصيتها مزيفة، وميلها واضح الى الثرثرة، ومتلهفة دائماً الى العثور على شاب يحبها حقاً.

فقالت له روبن:

- انها معجبة بك.

- هي ليست معجبة بي يا روبن، بل بالدور الذي تتذكر اني كنت ألعبه في المدرسة. وأنا الآن ألعب دوراً مختلفاً تماماً. لم أعد بطلاً رياضياً، بل مجرد شاب حاول وفشل في بلوغ هدفه، وهو ان يصبح أعظم رياضي في العالم!

- لم تفشل يا ألن. فلو لم تصب بتلك الحادثة...

فوقف ألن فجأة وهو يقول:

- أنا لا أفكر في ماذا كان يجب ان يحدث يا روبن. فهذا لا فائدة منه، بل انه ينغص على الانسان حياته.

- سلمى لا تميل اليك لما كان ممكناً ان تكون، بل لما انت عليه الآن.

- صدقيني، لا فخر في الخروج مع شاب مصاب بالعطب!

- انت لست معطوباً يا ألن.

- قليلاً. ألم تلاحظي ان احدى ساقيّ أقصر من الأخرى؟

- لا أحد منا كامل يا ألن.

وأبدت روبن رغبتها في العودة الى العمل. وعند وصولهما الى المكتبة استقبلتها سلمى بحرارة قائلة:

- هل ذكرتني له بالخير يا روبن؟

- نعم، ولكن لم أتمكن من ان أطلب منه مباشرة ان يعود الى الخروج معك يا سلمى!

- لا أتوقع ذلك. يكفي ان يعلم منك اني معجبة به.

قالت ذلك وتذكرت ان هناك زائراً ينتظر روبن، فقالت لها:

- نسيت ان اخبرك ان زائراً ينتظرك.

- بلي؟

- كلا. يبدو لي كأنه ريك.

فاستولى الرعب على روبن. ماذا جاء ريك يفعل هنا؟

وسألت سلمى قائلة:

- أين هو؟

- هناك قرب الرفوف الخلفية.

وهرعت روبن الى المكان وقلبها يخفق خفقاناً شديداً. هل من الممكن ان يكون هذا الزائر ريك؟ وكيف يكون ريك؟

وشعرت بسعادة لا توصف. ولكنها كبتت شعورها هذا بالسعادة حين أقبلت نحو ريك الذي نهض من كرسيه لاستقبالها قائلاً بصوت أجش:

- روبن!

وبذلت جهداً بالغاً لئلا تظهر عواطفها نحوه في تلك اللحظة، فاجابته بصوت رصين لا يشوبه أي اضطراب أو انفعال:

- السيد بندلتون!

فابتسم قائلاً:

- ما هذه التحية الرسمية التي لا تزالين تحيينني بها؟

- لا أفهم ما تقول!

- بلى، تفهمين يا روبن. حين تناديني «ريك» كما كنت تفعلين، عندئذ أعرف اننا ما نزال صديقين.

- وهل كنا صديقين فيما مضى؟

- اذن، كنا عاشقين!

- لا هذا ولا ذاك.

وأشارت اليه بأن يخفض صوته، لئلا يسمع الآخرون في المكتبة كلامهما.

وقال لها ريك:

- من هو هذا الفتى الذي خرجت معه اليوم لتناول طعام الغداء؟

- تقصد ألن؟

- هل هذا هو اسمه؟

- انه صاحبي.

فتجهم وجه ريك وهو يسأل قائلاً:

- هل هو صاحبك حقاً؟

- نعم.
- يبدو لي انك تحرزين تقدماً هائلاً في هذا المضمار منذ ان تعرفت اليك.
فاجابت وقد شع بريق في عينيها البنفسجيتين:
- ولم لا؟ لا أحد له دعوى علي.
فشد على أعلى ذراعها قائلاً:
- أنا. فانت لي يا روبن، ولا أحد يستطيع ان ينتزعك مني.
ففوجئت روبن بهذه المصارحة وتمنت لو انه تصرف كذلك من قبل. اما الآن فآثرت ان تقول له بحزم:
- ارجوك ان تبتعد عني وتتركني وشأني.
- لن أفعل ذلك ابداً.
- اذن، يبقى عليّ ان أرغمك على ان تفعل!
فتصنع الابتسام وقد تصلبت ملامح وجهه وقال:
- حاولي يا روبن. ولكني أتغلب عليك في النهاية.
- وعليك انت ان تحاول أيضاً، ولكنك لن تنجح.
- سأنجح. والآن الى اللقاء يا روبن!
واستدار متجهاً نحو الباب الخارجي، فحيّا سلمى بابتسامة عابرة وهو في طريقه الى الشارع.
ولو لم تكن روبن غاضبة، وفي مكان كهذا المكان، لصرخت من شدة ندمها على ما جرى في هذه المقابلة. غير انها تأكدت ان ريك عاد الى حياتها، وانه عاد ليبقى، حتى ولو لم تشأ ذلك.
وقالت لها سلمى بصوت منخفض:
- يبدو لي اكثر جاذبية كلما رأيته...
- لكنه رجل فظ متعجرف.
- ومع ذلك فأنت مغرمة به.
- كلا. هذا غير صحيح.
- انت تكذبين!

ودخلت روبن غرفة المستخدمين وعلقت معطفها هناك. وفيما هي تمشط شعرها التقت الن، فقال لها وقد لمح عليها الاضطراب:
- ماذا بك؟ هل أساء اليك السيد ليفن؟ فنحن لم نتأخر في عودتنا الى العمل.
- لا شيء يا ألن.
ولكنها كانت بالفعل مضطربة. كيف يحق لريك ان يعتقد انه ما ان يومىء اليها حتى تسرع اليه؟ ولكنه سيرى خطأه، فهي لن تقبل ان تلعب هذا الدور.
وتأمل ألن فيها ملياً وقال بلطف:
- وهل من عادتك ان تضطربي من دون سبب على الاطلاق؟
- كلا. والحقيقة هي اني التقيت الآن صاحباً قديماً لي...
- قديماً؟
- نعم. وهو ليس بالفعل صاحباً. انه في منتصف الثلاثينيات من عمره. ولكن ليس هذا هو الذي ازعجني.
- بل ازعجني أنا...
فاشرق وجهها وهي تجيبه قائلة:
- أصحيح هذا؟
- نعم، ولماذا العجب؟
فترددت روبن في الجواب، ثم قالت:
- لأن ما يزعجني هو اني كذبت عليه، حين قلت له انك صاحبي. فاعذرني يا ألن!
- ولماذا قلت له ذلك؟
- لأثير غيرته. هو متزوج ولم أكن أعرف ذلك حين وقعت في حبه.
- ألم يخبرك بزواجه؟
- كلا!
- لا تعتذري يا روبن. فأنا يسرني ان أكون صاحبك... فأين نذهب الليلة لقضاء السهرة؟

فضحكت روبن قائلة:

ـ لا مكان. أريدك ان تكون صاحبي من حيث الشكل فقط.

ـ حسناً، سأدعو سلمى الى السهرة، اذن!

ـ وهل تظن انها ستقبل دعوتك؟

ـ سأحاول.

ولم تشأ روبن ان تخبره ان سلمى معجبة به، وهي ستفرح كثيراً بدعوته لها، فاكتفت بالقول:

ـ أنا متأكدة انك ستنجح.

وشعرت روبن بالارتياح الآن، بفضل حديثها مع الن. غير انها بقيت مصممة على استخدام كل الأساليب لاخراج ريك من حياتها الى الأبد.

وابتهجت سلمى كل الابتهاج لدعوة الن لها الى قضاء السهرة معاً تلك الليلة، فلم تدع احداً الا أخبرته بهذه الدعوة.

وفيما هي خارجة مع روبن، بعد الانتهاء من العمل في المكتبة، سألتها قائلة:

ـ ماذا تقترحين علي ان ألبس لهذه المناسبة؟

فتنهدت روبن بفروغ صبر واجابتها قائلة:

ـ ما دمتما ذاهبين الى السينما، فالأفضل ان تلبسي ثياباً عادية.

ـ صحيح، ولكن...

فقاطعتها روبن قائلة:

ـ أنا أعلم ان ثوبك الأسود يليق بك كثيراً، ولكنه غير مناسب للسينما.

ـ ولماذا لم يسألني ان نقضي السهرة في النادي لا في السينما؟

ـ لأنه كما تعلمين لا يستطيع الرقص بسهولة بسبب ساقه.

فصاحت سلمى متذكرة:

ـ آه، يا الهي!

ـ اذا كان الأمر كذلك، فربما كان من الأفضل ان تلبي دعوته الى

السينما.

ـ ماذا تقولين؟ وكيف لا ألبي دعوته؟ فأنا معجبة بألن منذ أيام الدراسة، ولا أستطيع ان أصدق انه دعاني لقضاء السهرة معه!

ـ صدقي. وانصحك ان ترتدي ملابس عادية الليلة.

ـ مثلاً؟

ـ من النوع الذي ترتدينه للعمل. أظن هذا ما يفضله ألن.

ـ ولكن...

فقاطعتها روبن قائلة:

ـ لا حاجة بك الى اغواء ألن...

وهنا سمعت صوت ريك يناديها:

ـ روبن!

فالتفتت نحو مصدر الصوت لترى ريك وقد استبدل ثيابه الفاخرة بسروال بسيط وسترة عتيقة، فاستعادت الى الذاكرة ريك الذي عرفته، لا السيد أوليفر بندلتون.

وقالت لها سلمى:

ـ الى اللقاء، غداً يا روبن.

ثم حيت ريك قائلة بابتسامة:

ـ وداعاً يا سيد هوارث.

فرد تحيتها بالقول:

ـ طابت ليلتك يا سلمى!

وسرّ سلمى انه يعرف اسمها. وتابعت سيرها بغنج ودلال. ونظر ريك الى روبن، فسألته قائلة:

ـ ماذا تريد الآن؟

فلم يظهر عليه الارتباك، بل أجابها بهدوء:

ـ أريد ان أضع سيارتي بتصرفك.

فقالت له وهي تتجه نحو الباب الآخر من البناء:

ـ معي دراجتي... شكراً.

غير انها وجدت العجلة الخلفية خالية من الهواء، فتطلعت اليه تتهمه قائلة:

ـ انت فعلت هذا، أليس كذلك؟

فانكر ريك ان يكون هو الفاعل، ولكنها أصرت على تهمتها، فقال لها:

ـ كلا، وانما وقفت اتفرج على الصبيين اللذين فعلا ذلك، من دون ان امنعهما.

فحدقت اليه روبن بغضب قائلة:

ـ ولماذا لم تمنعهما؟

ـ لأني أريد ان ارافقك الى البيت بسيارتي.

ـ ولكني رفضت.

ـ ومع ذلك...

ـ سأصر على رفضي.

واتجهت بغضب نحو موقف الباص، حيث كان بعض الناس ينتظرونه، ووقفت في الصف وفتحت حقيبة يدها لتخرج بعض الدراهم.

وكان ريك أقبل بسيارته الفخمة ووقف ازاءها قائلاً بخبث:

ـ أتريدين مساعدة يا حبيبتي؟

ـ كلا، شكراً!

فأصر على دعوتها قائلاً:

ـ هيا بنا، يا حبيبتي! اعتذر لاساءة التصرف مع والدتك، ولكن هذا لا يبرر غضبك علي...

فقطبت روبن جبينها وصاحت به:

ـ ماذا تقول؟

ـ اصعدي الى السيارة يا حبيبتي حتى نتفاهم ونتصافح.

وتطلعت روبن الى الناس حولها، فرأت الابتسامة على وجوههم. فصعد احمرار الخجل الى وجهها ولم تشأ ان تبقى واقفة هكذا،

فصعدت الى السيارة واغلقت الباب وراءها بغضب.

وانطلق ريك بالسيارة وهو يبتسم، متجهاً نحو بيت روبن.

فصاحت به:

ـ يا لك من رجل حقير!

ـ أهذا جزاء نقلك بسيارتي؟

ـ لا، بل لاجباري على ذلك!

وقهقه ضاحكاً، فقالت له:

ـ ماذا جئت تفعل هنا؟

ـ لزيارتك!

ـ لا أريد أية زيارة منك...

ـ اعترف اني اسأت اليك بالتخلي عنك.

ـ لا تظن ان ذلك أزعجني على الاطلاق!

فمد ريك يده ووضعها فوق يدها. وشد على اصابعها قائلاً:

ـ كنت أنوي العودة اليك قبل الآن يا روبن، ولكني لم أستطع.

ـ بسبب شيلا، أليس كذلك؟

ـ لا، ليس بسبب شيلا. أعترف انها كانت سبب تركي اياك هكذا من قبل، ولكنها لم تكن سبب تأخري عن العودة اليك الآن.

ـ وماذا اذن؟

ـ العطب الذي أصاب رئتي.

ـ سمعت بذلك.

ـ من بريان؟

ـ نعم.

ـ أتعلمين انه وجد لنفسه فتاة أخرى؟

ـ نعم. اخبرني البارحة بالتلفون. اسمها ترودي.

ـ ألم يزعجك ذلك؟

ـ ولماذا يزعجني؟

ـ انه مجرد سؤال... فأنا لا أعلم عمق العلاقة التي كانت بينك

وبينه.

واحتفظت روبن ببرودة اعصابها بجهد بالغ، فقالت:

- أرجوك ان تحصر اهتمامك بما يخصك.

فظهر عليه الاضطراب وهو يرفع يده عن يدها ويضعها على المقود. وقال بعد صمت قليل:

- انت تخصينني!

- وشيلا؟

فعبس ريك وهو يقول:

- وهل تغارين منها؟

- أنا؟ ابداً. لا يحق لي ان أغار. فأنت لا تعنيني في شيء!

- اذن لماذا اهتمامك بشيلا؟

ولما لم تجب بشيء تابع قائلاً:

- اما تزالين غاضبة علي لأني لم اخبرك من أنا؟

- لا ابداً، على الرغم من ان ذلك كان نكتة بائخة!

- لا، لم تكن نكتة يا روبن. لا عليك ولا على أي شخص آخر.

- على دومينيك، بطلة روايتك... أهذا ما تريد ان تقوله؟

- على كل حال. لم اكن ادرك كم ستكونين مهمة في حياتي...

- مهمة؟ كفاك يا سيد بندلتون.

- يجب ان تصدقيني يا روبن. لم أكن أريد ذلك من قبل، واما الآن فهذا هو الواقع.

وشعرت روبن بالارتياح حين ادركت انهما اقتربا من البيت فقالت له بسخرية:

- هذا مديح منك لا استحقه.

ولم ينعطف ريك بالسيارة الى طريق بيتها، بل الى طريق آخر. وبعد مسيرة نصف ميل في طريق مقفرة أوقف السيارة ومال نحو روبن في مقعدها، فسألته بحيرة ودهشة:

- وماذا الآن؟

- أريد ان أعانقك، لعلك تعودين الى صوابك!

- اذن عانقني.

- ستصرخين النجدة... النجدة! أليس كذلك؟

وأطبق عليها، فيما حاولت ان تدفعه عنها وهي تصيح:

- انت رجل متعجرف وأناني... اليك عني!

- ولكني أريدك...

وشعرت روبن ان كل حقدها وغضبها على ريك تلاشى وهو يعانقها بعاطفة لا تحد. وكان ريك يتنهد ويردد قائلاً:

- روبن... روبن... يا حبيبتي!

ولم تعد تقوى على المقاومة، فتركته يعانقها وهي تتذكر الأحاسيس التي ذاقت حلاوتها من قبل.

وتضاعفت هذه الاحاسيس وريك يتمتم قائلاً:

- أنا لك يا روبن! أنا لك الآن والى الأبد.

وفكرت روبن وهو يقول هذا الكلام انه لم يكن صادقاً. فهو لشيلا لا لها. فأخذت تقاومه من جديد وتدفعه عنها بكل قواها. وبعد جهد عظيم تمكنت من الجلوس في مقعدها وهي تشهق بالبكاء.

وقالت له بغيظ شديد:

- انت لست لأحد. وأريدك ان تتركني وشأني. عد الى لندن، الى مجتمعك المخملي، وأبق هناك ولا تعد تريني وجهك!

- لا استطيع ان أفعل ذلك. انت وأنا نعرف هذه الحقيقة!

- وماذا عن مرضاك؟ ألست مسؤولاً عنهم؟

- لست مسؤولاً عن أي مريض في الوقت الحاضر. حين تركتني ميلاند اخذت فرصة سنة لأعمل فيها ما يحلو لي. وبقي لي منها الآن ستة أشهر، وسأكرسها لك... وسأتزوجك يا روبن!

فشهقت روبن لهذه المفاجأة وصاحت:

- وماذا عن شيلا؟

- الى ان تتزوج مرة اخرى، فستبقى عبئاً علي!
- عبئاً؟ يا الهي! انت خال من الشرف! الا تحس نحوها بواجب او بمسؤولية؟
- نعم، ولكن لي حياتي الخاصة بي... وهي تدرك ذلك.
- حياتك الخاصة؟ ولكن ليس معي.... لن اتزوجك ابداً، افهمت؟ اليك عني... ارجوك!

قالت روبن ذلك بانفعال شديد، غير انه جابه انفعالها بالقول:

- أنا احبك يا روبن.

فوقع عليها هذا الكلام وقوع الصاعقة وصاحت:

- ماذا... ماذا تقول؟
- نعم أحبك يا روبن. فبعد ان تركتني ميلاند ظننت اني لن أتورط مع امرأة أخرى. ولكن معك انت، بصراحتك وجمالك الفتان، غيرت رأيي لأكون أسيرك الى الأبد...

فوضعت روبن يديها على اذنيها وقالت:

- كفى! لا أريد ان أسمع مثل هذا الهراء. خذني الى بيتي... ارجوك ان تأخذني الى بيتي!
- روبن!
- ارجوك...
- حسناً. ولكن هذا الحديث لم ينته بعد.

قال ذلك وانطلق بالسيارة نحو بيتها.

وادركت روبن ان كلامه كان انذاراً لا مجرد كلام عابر. فقالت له:

- بالنسبة الي، هذا الحديث انتهى ولا عودة اليه!
- هل حدث هذا بعد علاقتك ببريان أو ألن؟

وادركت روبن خبثه فأجابت قائلة:

- هذا لا يعنيك!
- ولكن من حقي أن أعرف أي واحد منهما فاز بك؟

وثار غضب روبن من هذا الكلام الصريح الوقح الذي ينطوي على تهمة لا أساس لها من الصحة، فصاحت به:

- أيمثل هذه السفالة تطمح ان تسيطر علي؟
- أنا اليوم أفكر في المستقبل. أريدك ان تكوني لي، ولي وحدي.
- جئت متأخراً.
- كلا... فأنا أحبك بكل قلبي ولا أستطيع أن أعيش بدونك!
- لا استطيع ان اصدقك.
- معك بعض الحق. كنت أظن ان العلاقة بين المرأة والرجل كافية ما دامت توفر لهما القناعة المنشودة. اما الآن، فبعد ان تعرفت اليك، لم يعد ذلك صحيحاً في نظري. واني آسف لكل الوقت الذي هدرته مع النساء الأخريات.

وكانا وصلا الى بيت روبن. فاوقف السيارة والتفت اليها سائلاً:

- وهل انت من هذا الرأي بعد خبرتك مع بريان أو ألن؟

فصاحت به وهي تخرج من السيارة بغضب شديد:

- اليك عني، يا لك من حقير!

٩ - يريد ان يتزوجها، ولكن ماذا عن زواجه بشيلا؟ لن تنتظر حتى يحصل فتى احلامها على وثيقة الطلاق لتنعم بالسعادة على حساب امرأة اخرى!

واغلقت روبن باب الحانوت وراءها بعنف، مما جعل والدها يتطلع من وراء دفتر الحسابات ويسألها قائلاً:

- ما بك يا روبن؟

- لا شيء.

فابتسم قائلاً:

- انا اعرف ماذا بك. ومع ذلك افضل ان اراك غاضبة هكذا، على ان اراك حزينة كئيبة كما كنت في الاسابيع الأخيرة.

- أبي!

فرفع يديه قائلاً بهدوء:

- هدئي من روعك. لن آتي على ذكر هذا الموضوع بعد الآن، وانما يسرني ان استعيد ابنتي العزيزة روبن كما كانت.

- آسفة يا ابي ان اكون سببت لك كل هذا العناء. ولكني...

ولم تكمل عبارتها لأن باب الحانوت انفتح فجأة ودخل منه ريك. فسارعت روبن الى القول:

- عفواً...

وتوارت مسرعة الى البيت الواقع خلف الحانوت، وسط دهشة والدها وحيرته.

وتساءلت روبن كيف يجرؤ ريك على اللحاق بها الى الحانوت؟ ألم يقتنع انها لا تريد الرجوع اليه؟

واستقبلتها والدتها بالقول:

- تسرني عودتك باكراً يا حبيبتي...

وبعد ان نظرت اليها ملياً تابعت كلامها قائلة بلهفة:

- ماذا اصابك يا ابنتي؟

- لا شيء يا اماه!

فلم تصدق والدتها، بل قالت لها:

- تبدين مضطربة، وهذا واضح لا تستطيعين اخفاءه.

- انني متعبة... هذا كل شيء، واريد ان اخلد لنفسي يا اماه، لعلني استريح واصبح قادرة على الانضمام اليكم عند تناول طعام العشاء.

ولكنها لم تسترح. فطول الوقت الذي خلت فيه الى نفسها في الغرفة لم تستطع ان تنسى كيف لحق بها ريك الى الحانوت، وكيف انها لم تفطن الى انه قد يلحق بها. ولكن بعض التوتر فارقها وهي تنزل الدرج الى الطبقة السفلى من البيت.

وما ان دخلت غرفة الاستقبال حتى وجدت نفسها وجهاً الى وجه مع ريك. وكان جالساً بهدوء، فيما كانت والدتها في المطبخ تهيء الطعام.

فبادرته بالقول:

- ماذا تفعل هنا؟

فأجابها بعفوية ظاهرة:

- اشرب الشاي...

- هل تعرف ماذا...

فقاطعتها والدتها التي خرجت فجأة من المطبخ وقالت:

- آه يا روبن! يسرني انك نزلت، لأنني كنت مزمعة ان اصعد لأخبرك ان السيد هوارث هنا ويريد مقابلتك!

وعجبت والدتها من موقفها اللامبالي من الرجل الذي كانت تحن وتشتاق اليه في الشهرين الفائتين، فقالت معتذرة:

- نسيت ان اضع ملحاً في الطعام الذي اعددته. . . ويسرنا ان نستضيفك للعشاء يا سيد هوارث.

- بكل سرور. . . وانت تعلمين كم يلذ لي طعامك يا سيدة كاسل!

وعادت السيدة كاسل الى المطبخ، فقالت روبن لريك:

- اسألك مرة ثانية: ماذا جئت تفعل هنا؟

- جئت تلبية لدعوة والديك لي. . .

- يا الهي! الا تريد ان تدعني وشأني؟

- اني اتضور جوعاً. . . اذ لم اتناول غدائي اليوم.

- ولكن لا يمكنك ان تتعشى معنا هنا. . .

- لماذا لا، وقد قبلت الدعوة؟

فثارت ثائرتها وصاحت به:

- انا لم ادعك ولا اريدك هنا. . .

ووضع ريك فنجان الشاي الفارغ على الطاولة وعاد الى الجلوس في كرسيه المريح وهو يقول:

- لا حيلة لي في الأمر، وعلي ان ابقى.

- كلا، كلا!

واقبلت عليه تحاول انهاضه من كرسيه وهي تصيح:

- يجب ان تذهب. . . ريك لا تكن مشاكساً عنيداً.

فجذبها اليه وهو يعانقها ويقول:

- واخيراً عدنا الى صداقتنا القديمة بعد ان دعوتني ريك!

واخذت تدفعه عنها بقبضتي يديها وتقول:

- لا، لا. دعوتك باسمك لأني. . .

فأكمل ريك لها عبارتها بالقول هامساً في اذنها:

- لأن هذا هو اسمي وانت تحبينني!

- لا. انا لا احبك، واسمك بالنسبة الي هو السيد بندلتون.

- كفى. . . كفى، والا عاقبتك على سوء سلوكك.

وكان عقابه هذا انه جذبها الى صدره العريض الصلب ولم يترك لها مجال التنفس بسهولة.

ثم رفع رأسه وحدق اليها بعينين لم يدع بريقهما المتقد مجالاً للشك في انه كان، لأول مرة، يعاني حباً بلغ الى الأعماق.

- يبدو انك غير مستعدة بعد لالقاء سلاحك.

- كلا ابداً.

وهنا دخل بلي فجأة وهو ينادي والدته، فارتبكت روبن وهي تنظر الى اخيها يضطرب لرؤيتها هكذا مع ريك.

ونهضت واقفة تصلح هندامها وهي ترحب ببلي. ونهض ريك ايضاً وقال لبلي:

- لم اشكرك بعد على مساعدتك لي ليلة وقوع الحادثة.

ومد يده اليه مصافحاً، فقال له بلي:

- انما فعلت واجبي. ومساعدتك اسهل علي بكثير من مساعدة روبن!

- مساعدة روبن؟

- نعم، يا سيد هوارث، ليتك رأيتها عندما بلغها خبر الحادثة، كيف. . .

فقاطعته روبن قائلة:

- كفى يا بلي، السيد هوارث لا يبالي الآن بمثل هذا الحديث.

فابتسم ريك قائلاً:

- وكيف لا ابالي؟ هذا يهمني كثيراً.

- لا مجال الآن. . .

والتفتت الى بلي وامرته بأن يستحم ويرتدي ثيابه استعداداً للعشاء. ولم يرق ذلك لبلي، فقال لريك وهو يصعد الى غرفته:

- انا لا احب الأخت التي تأمر وتنهى!

وعاد ريك الى مواجهة روبن، فأحاط خصرها بذراعيه وشدها اليه وهو يقول:

- ماذا اراد اخوك ان يقول الآن؟
دعك من هذا الموضوع...
وهنا دخل والدها الى الغرفة. ولم يظهر عليه اي تأثر من رؤية روبن بين ذراعي رجل يكاد لا يعرفه، بل اكتفى بالقول:
- ارجو ان تحيدا قليلاً لأرى نشرة الأخبار في التلفزيون.
وشعرت بالارتباك وهي تنظر الى والدها، وعجبت كيف انه لم يبال، كأنما الأمر لا يعنيه مطلقاً.
وقال لها ريك:
- لن ادعك ما لم تخبريني ماذا جرى لك ليلة الحادثة.
- لن اخبرك!
- اذن ستبقين هكذا بين ذراعي...
غضبت روبن من عناده وصاحت به:
- يا لك من رجل متسلط ثقيل الظل...
فاحتدم الجدال بينهما، فتدخل والدها قائلاً لريك:
- ماذا تريد ان تعرف يا ابني؟
فلما علم منه ماذا يريد ان يعرف، قال له:
- انا اخبرك. روبن...
فقاطعته روبن قائلة:
- أبي... ارجوك ان لا تفعل.
- الا تريدينه ان يعرف؟
- كلا.
- اذن، انا آسف يا ريك.
وهنا دعتهم والدتها الى تناول طعام العشاء في غرفة الطعام، فاضطر ريك الى افلاتها من غير ان يتسنى له بلوغ مطلبه منها، وكانت والدتها رأتهما متعانقين، فكأنما اراد ريك ان يثبت حقه في روبن على مرأى من العائلة كلها. وهو حق باطل ما دام انه متزوج.
غير ان روبن لم تخبر والديها بأنه متزوج، لئلا تحرم من متعة وجوده

بين افراد عائلتها، واظهر ريك، على الرغم من الحياة المختلفة التي كان يعيشها في لندن، انه ينسجم تمام الانسجام مع جو العائلة. فحدث الوالد عن تجارته، وامتدح الوالدة لمهارتها في الطهي، وناقش بلي في لعبة كرة القدم، التي كان يعرف الكثير عن تفاصيلها.
وبعد الانتهاء من تناول طعام العشاء، ادركت روبن ان ريك اصبح محبوباً من جميع افراد العائلة، وكانت النظرات الحارة التي يرمقها بها يجعل وجهها يشرق فرحاً. فلو كان غير متزوج، لكان كل شيء على ما يرام.
وفي نحو العاشرة نهض ريك مستأذناً بالذهاب. وكان الارتياح الشديد بادياً عليه، على نحو لا عهد لروبن بمثله من قبل.
ونهض والدها ليودعه بحرارة وهو يقول:
- سرنا جداً ان نتعرف اليك اكثر من ذي قبل.
وبادله ريك التحية بمثلها وقال:
- اعتذر عن سوء تصرفي في آخر مرة شاهدتك فيها.
- لا مأخذ لي عليك. ولا اظن ان روبن تصرفت ايضاً كما يجب، لأنها لم تعمل بالمبدأ القائل: لا تضرب احداً حين يكون مغلوباً على امره.
فصاحت روبن قائلة:
- انا لم افعل... هو الذي...
فقاطعها ريك قائلاً:
- اضطررت الى ان اسكتها!
فقال والدها:
- اذكر انك فعلت ذلك ونجحت. والآن امامك طريق طويلة للوصول الى حيث تقيم، أليس كذلك؟
قالت والدتها:
- يمكنك ان تبيت الليلة عندنا، اذا كنت تقبل ان تشارك بلي غرفته.

فأجابها ريك بامتنان:

- اشكرك على دعوتك هذه. ولكن محل اقامتي ليس بعيداً، فهو على مقربة من هنا...

فصاحت روبن وقد بدا الاصفرار على وجهها:

- اورشرد هاوس... عدت الى اورشرد هاوس؟

- انا اقيم هناك، وقد اشتريت المنزل.

فرددت كلمته بلهفة قائلة:

- اشتريته؟

- نعم.

- ولكنه لا يحتوي على اثاث، او اي شيء...

- هذا في الماضي، اما الآن فهو مليء بالأثاث... وما عليك الا ان تأتي وتري التغيير الذي طرأ عليه.

فالتفتت والدتها اليها قائلة:

- انه خبر سار... أليس كذلك يا ابنتي؟

- ربما.

وخاطبت ريك قائلة:

- ولكنك لا تعرف كيف تعد الطعام لنفسك... هل جئت بطاهية ومدبرة لمنزلك؟

- كلا، ولكني اعمل في سبيل ذلك، وآمل ان انجح قريباً.

ولم تخف نظراته وملامح وجهه مغزى كلامه هذا. ورأت روبن والديها يتبادلان النظرات، فصعد الاحمرار الى وجهها وقالت لريك:

- سأرافقك الى الباب مودعة.

وقالت له والدتها:

- اذا كنت وحدك يوم الأحد المقبل، فتعال اذا شئت الى تناول طعام الغداء معنا.

- هذا يسعدني حقاً.

- ويسعدنا نحن ايضاً. سننتظرك في الواحدة بعد الظهر.

- سأكون هنا.

وكانت روبن تدفعه نحو الباب، حتى اذا وصلا اليه قال لها ساخراً:

- هل انت مستاءة من تصرفي؟

- انت تعلم اني مستاءة جداً... فأنا لا اريدك ان تأتي الى هنا لتتناول طعام الغداء يوم الأحد او أي يوم آخر.

- ولكن الدعوة لم تصدر عنك... وتجاهلك إياي لن يجعلني اتركك وشأنك يا روبن!

- ليتك تفعل.

- انت تكذبين.

فحدقت اليه غاضبة وقالت:

- انت تظن انك رجل ذكي وبارع، أليس كذلك؟ فتمكنت ان تشق طريقك قسراً الى بيتي...

- لم افعل ذلك قسراً. جئت الى الحانوت لأعطيك حقيبة يدك هذه، فدعاني والدك الى تناول طعام العشاء.

فصاحت وهي تأخذها من يده:

- حقيبة يدي؟

- نعم، حقيبة يدك! الا يستحق هذا ان ادعى الى العشاء؟

فحارت بماذا تجيب. ثم قالت بعد تردد:

- ولكنه لا يستحق ان تدعى الى الغداء ايضاً!

- لا نفع من هذا الكلام الآن... قبلت الدعوة ولن اتراجع عن قبولها.

- اذن، سترى اني لن اكون حاضرة...

- لا يهم. يكفيني حضور والديك!

واستولى الغيظ الشديد على روبن، خصوصاً لأنه تغلب عليها كعادته في كل جدال ينشأ بينهما. وساد الصمت قليلاً، فيما انحنى ريك مودعاً:

- اراك يوم الأحد، هذا اذا لم ارك قبله.

فأصرت على الرفض، واصر هو على موقفه. وحين ابتعد عنها متجهاً الى سيارته، كانت اتخذت قراراً صارماً بالعمل على تخييب امله.

كادت سلمى تطير من الفرح في انتظار موعدها مع ألن في اليوم التالي. وحين تحقق الموعد، وجدت في ألن جميع ما كانت تتمناه من اوصاف. وكان في نظرها لطيف المعشر، بحيث انه دعاها الى تناول مرطب بعد خروجها من السينما.

هكذا اخبرت روبن. ويبدو ان الموعد كان ناجحاً ايضاً بالنسبة الى ألن، فقالت له روبن:

- يسرني انك قضيت وقتاً ممتعاً.

وكانت روبن مشوشة الذهن ولا تدري ما تفعل. كان ريك مغرماً بها وهو يريد ان يتزوجها. وكانت هي ايضاً مغرمة به، ولكن ماذا عن زواجه بشيلا؟ لم تكن هي الفتاة الوحيدة التي وقعت في غرام رجل متزوج، وكان عليها الانتظار الى ان يحصل فتى احلامها على وثيقة الطلاق. غير انها كانت تدرك ان ذلك ما لا تريد ان تفعله، فتنعم بالسعادة على حساب امرأة اخرى.

وقالت لها سلمى:

- كانت السهرة مع ألن تفوق الوصف. فهو يختلف كل الاختلاف عن اي شاب آخر قضيت السهرة معه، خصوصاً وانه يتحدث الي...

- هل هذا يعني ان الآخرين لم يكونوا يبادلونك الحديث؟

- ليس كما فعل ألن. فهو بالفعل يتحدث الي ويعاملني كند له.

- وانت كذلك، فلماذا العجب؟

- اعلم ذلك، ولكن معظم الشبان الآخرين يعتبرون ان الفتيات يعوزهن الذكاء وطلاوة الحديث. هذا ما اختبرته بنفسي. وكنت اجد من الأسهل علي ان اتصرف كما ينتظرون مني.

فأعلنت روبن بحزم:

- لن ادع احداً يجبرني ان اتصرف كما تقولين.

- حتى ولو كان ريك؟

- ريك لا يعاملني الا كند له... وهو يرفض ان يعاملني بخلاف ذلك.

فابتسمت سلمى قائلة:

- اذن، فهو رجل رائع حقاً. ثم انه ينظر اليك كأنه يريد ان يلتهمك بنظراته.

- سلمى!

- نعم، هذه هي الحقيقة. وحين رأيت ذلك منه شعرت بالغيرة.

- اني اتنازل لك عنه بطيبة خاطر... هذا اذا كنت تقبلين برجل متزوج!

فصاحت سلمى بدهشة:

- متزوج؟

- نعم.

فتنهدت سلمى قائلة:

- يا لسوء الطالع! ولكنك مغرمة به، أليس كذلك؟

فكذبت عليها قائلة:

- لم اعد مغرمة به... والآن اخبريني عنك وعن ألن. هل ستخرجين للسهرة معه مرة ثانية في المستقبل؟

- غداً. وسنذهب الى حضور مباراة في كرة القدم، فما رأيك؟

وادركت روبن سبب دعوتها الى هذه المباراة. فهو لم يكن يثق بصدق ميل سلمى اليه، ولذلك اراد ان يريها انه لم يعد قادراً على ان يتابع العمل على اقامة علاقة حميمة معها.

وفيما بعد لم تتردد روبن ان تصارح ألن بخطأ موقفه من سلمى، فقالت له:

- سلمى لا تبالي ابداً بأنك كنت بطلاً رياضياً. فهي مرتاحة جداً لأنك تنظر اليها كشخص لا كدمية.

- هذا صحيح، ولكني لا استطيع ان اثق بها.
- انت على خطأ.
- ربما... والآن دعينا نذهب الى الفرن لشراء بعض الفطائر. ويمكننا ان نكمل حديثنا ونحن سائرون في الطريق.

وخرجا من الباب الخلفي للمكتبة. وفيما هما سائران سمعت روبن صوتاً يناديها قائلاً:

- روبن!

فعرفت انه صوت ريك. والتفتت الى الوراء لمواجهته، فاذا بها تلمح على وجهه امارات الاستياء، ربما لوجودها مع ألن. على انها عزمت ان تتحدى استياءه، لأنها حرة في تناول طعام غدائها مع من تشاء، وان تعاشر من تشاء، ولا حق له في ذلك على الاطلاق.

وقال لها:

- جئت لأدعوك الى الغداء...

والقى يده على ذراعها، فأجابته قائلة:

- يؤسفني ان لا البي دعوتك، لأنها جاءت متأخرة.

وسرها ان ألن ادرك ان ريك هو الرجل الذي تحتاج الى حمايتها منه. فالتفت الى ريك وخاطبه قائلاً بحزم:

- ارجوك ان ترفع يدك عن ذراع خطيبتي!

وفوجئت روبن بكلام ألن وحاولت ان تقول شيئاً، غير ان ريك جذبها اليه وهو يقول لها:

- انا متأكد ان السيد... ألن يفهم اني احق منه بالحصول على وقتك.

ونظر اليها ألن، وحين رأى ملامح وجهها الشاحبة من شدة الاضطراب، قال لريك:

- روبن قادرة، هي بنفسها، على ان تختار من تشاء!

فقالت روبن، موجهة الكلام الى ريك:

- سأتغدى الآن مع ألن، ولكن والديّ ينتظرانك يوم الأحد

لتناول طعام الغداء في بيتنا.

- وهل تكونين هناك؟

- نعم.

- اذن، سأراك.

وقفل راجعاً الى سيارته الفخمة التي كانت بانتظاره.

وتنفس ألن الصعداء وهو يرى السيارة تنطلق في الشارع. وقال لروبن:

- لو قرر ان يقاتلني لتغلب علي.

- أشك في ذلك.

- هذا لطف منك، لا اكثر ولا اقل. وعلى كل حال، من هو هذا الرجل؟

فأجابته وهي تسير الى جانبه غارقة في التفكير:

- اخبرتك عنه. هو الرجل الذي لا اريد ان اتورط بعلاقة معه.

- ولكن يبدو لي انه يتمتع بأوصاف كثيرة تثير الاعجاب.

فأجابت روبن وهي تتابع سيرها بعصبية ظاهرة:

- كلا، لا يتمتع بشيء من ذلك!

- اذن، فهو لا يهمك...

- كلا، لا يهمني.

- ولماذا انت غاضبة؟

- لا لشيء... لا لشيء...

- بلى، ولكنك لا تقولين الحقيقة يا روبن. كنت منذ حين تنهالين علي بالنصائح... والآن اسمحي لي ان اقدم اليك نصيحة واحدة. فما دمت تحبينه ويحبك، فلماذا تقاومينه هكذا؟

- اما اخبرتك انه متزوج؟

- ولكن ليس كل الزيجات نزلت من السماء. ويبدو ان زواجه لم ينجح.

- ومهما يكن، فأنا لا اريد ان اساعد في عدم نجاحه!

ولم تجتمع روبن بريك الا يوم الأحد. وفي هذه الاثناء كانت تشعر بالخيبة لأنه لم يحاول ان يجتمع بها. ومع ذلك، فحين دخل الى البيت في الواحدة بعد الظهر استقبلته بوجه عابس، فيما كانت والدتها تهيء الطعام في المطبخ.

وحياها قائلاً وهو يقدم اليها باقة من الزهور:

- روبن...

وجلس حيث اشار اليه والدها ان يجلس.

فردت روبن عليه التحية بحيرة، فقال لها:

- لم تأتي الى اورشرد هاوس لتري ما طرأ عليه من تغيير.

- آسفة لم يكن لدي متسع من الوقت.

فقالت لها والدتها:

- يمكنك ان ترافقي ريك الى هناك بعد الغداء...

- فكرة رائعة. اريدك ان تري المنزل يا روبن.

قال ذلك والتفت الى والدتها قائلاً:

- انا وروبن سنغسل الصحون.

فبادرته روبن الى القول:

- استطيع ان افعل ذلك وحدي. اما انت، فاذهب وتحدث الى والدي.

- لا. الأفضل ان اساعدك.

ولاحظت روبن لهجة التحدي والتهديد في كلامه، فلم تستمر في اعتراضها، بل حملت الصحون واتجهت نحو المطبخ وهي تدرك انه يتبعها. وما ان وصلت حتى احست بحرارة انفاسه على عنقها من الوراء. غير انها لم تلتفت، بل باشرت الى غسل الصحون وقلبها يخفق بشدة.

وضمها ريك اليه قائلاً:

- احبك يا روبن!

فأفلتت منه بصعوبة وهي تصيح:

- دعني!

- ولكني لا استطيع. فأنا احبك واريد ان اتزوجك...

فأجابته بغضب شديد:

- اذا كنت لا تتوقف عن معاملتي هكذا، فسأخبر والدي بحقيقة امرك...

- هذه فكرة حسنة. فلماذا لا نخبرهما نحن الاثنان؟

وجذبها نحو غرفة الاستقبال، حيث جلس والداها وحدهما، لأن بلي كان خرج مع اصحاب له.

وصاح بها ريك:

- هيا. تعالي يا روبن!

- هل جننت؟

- نعم، جننت من شدة غرامي بك!

فأوقفته وتضرعت اليه قائلة:

- ريك، لا تفعل هذا. غادر البيت الآن وسننسى كل شيء!

- مستحيل، خصوصاً بعد ان دعوتني ريك!

ولم تستطع روبن ان تقاوم اكثر من ذلك، فسارت معه الى غرفة الاستقبال وهناك امام والديها اعلن ريك قائلاً:

- ارجوك يا سيد كاسل ان تسمح لي بالزواج بابنتك.

وفوجئت روبن بهذه الجرأة يبديها ريك الذي تابع كلامه قائلاً:

- اني احبها، واعتقد انها تحبني ولو لم تعترف بذلك...

- وانت تعرف لماذا...

قالت روبن هذا الكلام بغضب، وهي تدرك ان والديها لم يكونا ينتظران هذا الحديث بمثل تلك السرعة ولا بمثل تلك الطريقة الجريئة.

وتابعت قائلة:

- يكفي ما فعلته حتى الآن يا ريك... وانا مضطرة الآن ان اخبر والدي من انت، وما...

فقاطعها ريك قائلاً:

- لها الحق ان يعلما عني كل شيء. اسمي ليس ريك هوارث، بل اوليفر بندلتون.

- وانت متزوج...

فصاح والدها قائلاً:

- متزوج؟ وتحت اسم مستعار؟ وتطلب الزواج بابنتي... هذا يحيرني يا سيد هوارث... او بندلتون!

فأجابه ريك:

- ليس هذا اسماً مستعاراً، فاسمي بالفعل هو اوليفر ريتشارد هوارث بندلتون...

ثم التفت الى روبن قائلاً بغيظ:

- ومن قال لك انني متزوج؟

- هل نسيت شيلا؟

- شيلا؟ هي ليست زوجتي، بل زوجة اخي!

- آه، لم اعلم ذلك. ولكن اخاك لم يكن في السهرة...

- طبعاً لم يكن هناك، لأنه مات. فهو وميلاند قتلا في حادث سيارة!

- ميلاند؟

صاح والدها بحيرة بلغت اقصى مداها.

فقالت له روبن:

- سأخبرك بكل التفاصيل فيما بعد يا ابي.

والتفتت الى ريك تسأله قائلة:

- هل هو الطبيب الذي هربت معه ميلاند؟

- نعم.

- آه يا إلهي... كيف فعلت بنفسي هكذا؟ ارجوك يا ريك...

وكان الغضب والاستنكار بلغا بريك حداً بعيداً، فصاح بها:

- ارأيت كم أنت رعناء؟ آسف اني طلبت الزواج بك واني تعرفت اليك يا روبن. والآن وداعاً.

واتجه نحو الباب واغلقه وراءه بهدوء.

١٠ - روبن تقضي لياليها دون ان يغمض لها جفن. لم تره او تسمع عنه شيئاً، ولا احد رآه يتجول في القرية. يبدو انه اخرجها من حياته الى الأبد.

وأرادت روبن ان تلحق به لتلتمس منه المغفرة، غير ان امارات الاستنكار على وجهه منعتها عن ذلك. فهو لا شك يمقتها الآن، ولا لوم عليه في شعوره هذا نحوها.

وفضلاً عن ذلك، كان عليها ان تجيب على اسئلة والديها التي اخذت تنهال عليها مستفسرة عما جرى وما ادى الى تلك النهاية المؤسفة. وكان واضحاً من كل ذلك انها اخطأت حين داخلها الشك في رجل كريك، كان عليها ان تدرك انه ليس من النوع الذي يكذب ويخادع. والآن عليها ان تتحمل عاقبة هذا الخطأ الذي ارتكبته، فأسفر عن القضاء على حب ريك لها.

واستولى عليها الحزن الشديد، خصوصاً وان والديها نددا بسوء تصرفها ووقفا الى جانب ريك في استيائه منها.

وفي المساء خرجت روبن في نزهة قادتها الى مسافة ابعد من اورشرد هاوس، فرأت سيارة ريك واقفة امام المنزل، غير ان المنزل كان معتماً. ووقفت في الخارج تتأمله، ولكنها لم تشاهد اية حركة في داخله. فقفلت راجعة الى البيت، لأنها لم تشعر بالجرأة على مواجهة نقمة ريك عليها.

ولم تستطع النوم تلك الليلة. ومر الاسبوع التالي وهي متوترة الاعصاب، لا يستقر لها قرار. وفقدت شهيتها وشحب وجهها، ولكنها واظبت على عملها في المكتبة بشق النفس. وكانت تقضي

الليالي من دون ان يغمض لها جفن.

وفي هذه الاثناء كانت علاقة سلمى وألن تتوطد، حتى انهما قضيا معظم الوقت معاً، على الرغم من ان ألن بقي متحفظاً في موقفه من تلك العلاقة.

وقال ألن لروبن، وهما يتناولان القهوة في المكتبة:

- لا يمكن الوقوع في الحب بهذه السرعة.

ولكن روبن كانت اختبرت ان من الممكن الوقوع في الحب من اول نظرة، فلم تجادله في الأمر واكتفت ان تسأله قائلة:

- هل تحب سلمى؟

- لست متأكداً...

- وهل تحبك هي؟

- هي تقول انها تحبني.

- اذا قالت لك انها تحبك، فهي تحبك فعلاً. سلمى لا تكذب.

- ولكن ...

فقاطعته قائلة:

- بربك يا ألن، اقبل بما لديك، ولا تطرح الحب جانباً كما فعلت انا.

فقطب جبينه قائلاً:

- ذلك الرجل...

- نعم، فقدته، لأني حمقاء... فلا تكن احمق مثلي.

- لا ادري ماذا افعل...

ونهضت روبن وهي تصيح به:

- انت احمق... احمق... ومتعجرف. وهذه العجرفة لا تجعلك حلو المعشر طول حياتك. فكر في ما اقوله لك.

وخرجت من غرفة المستخدمين بعصبية ظاهرة.

وكانت سلمى آنئذ تصعد الدرج، فقالت متسائلة:

- ما هذه الضجة؟ انها تصل الى الطبقة السفلى.

- اسألي صاحبك.

- ألن؟ ولكن...

فقاطعتها روبن صائحة:

- انه هناك. حان لكما، انتما الاثنان، ان تعودا الى رشدكما.

قالت ذلك ونزلت الى الطبقة السفلى، حيث كان السيد ليفن في انتظارها. فسألها قائلاً بحزم:

- هل انت سبب هذه الضجة يا آنسة كاسل؟

- نعم.

- ارجو ان لا يحدث ذلك مرة اخرى.

وعاد السيد ليفن الى طاولته، فيما سيطرت روبن على اعصابها وابدت له اعتذارها. كانت مرهقة وتتوق الى ريك الذي، على ما بدا لها، اخرجها من حياته الى الأبد.

ولم يسمع احد من عائلتها بأي خبر عن ريك منذ الأحد الفائت. لم يذهب الى الحانوت ولا رآه احد يتجول في القرية او في جوارها. وكانت روبن تمر بمنزله كل مساء تقريباً، وفي كل مرة كانت تشاهد سيارته متوقفة في الخارج ولا دليل على انه في الداخل.

وفي احدى الأمسيات، فيما كانت تتهيأ لمغادرة المكتبة الى البيت، انضم اليها ألن وسلمى في غرفة المستخدمين.

وقال لها ألن:

- كنت على حق يا روبن. تصرفت بحماقة. قد لا تسفر علاقتنا عن شيء، غير اننا نعلم ان واحدنا يحب الآخر.

- يسرني ذلك كل السرور.

وخرجت من المكتبة الى موقف الباص، لأن دراجتها كانت ايضاً معطلة في ذلك اليوم.

وفيما هي في طريقها، صادفها بريان فصاحت بلهفة:

- ما ارى... بريان؟

- نعم، بنفسه.

- لا يظهر عليك انك فوجئت بمصادفتي هنا...
- كلا، لأني جئت لانقلك بسيارتي الى البيت.
وقبلت روبن ان يقودها بذراعها ويدخلها سيارته الصغيرة. وثم سألته قائلة بلهفة:
- ماذا جاء بك الى هنا؟
فأجابها وهو ينطلق بالسيارة:
- تمهلي قليلاً. لا تستعجلي. سأخبرك بكل شيء.
وبعد قليل، تابع كلامه قائلاً:
- جئت لزيارة عمي وعمتي، واغتنمت الفرصة فذهبت الى لقاء اوليفر في منزله.
فاضطربت روبن وتسارع خفقان قلبها وهي تسأله قائلة:
- صحيح؟ كيف حاله؟
- جسمياً ام معنوياً؟
- أرأيت انك خلقت لتكون طبيباً؟
- لن اصبح طبيباً في حياتي. احب التمثيل واريد ان اكون ممثلاً.
قال ذلك بابتسامة فيها شيء من السخرية. فقالت له روبن:
- وما رأي ترودي في الأمر؟
- من؟ ترودي؟ تركتها منذ وقت بعيد. وصديقتي الجديدة اليوم هي ايمي.
- يسرني انني لم اترك جرحاً بالغاً في قلبك.
- لكني احببتك من كل قلبي، وباخلاص. ولذلك اتمنى لو انك انت واوليفر تتغلبان على سوء التفاهم الذي جرى بينكما.
فمالت بنظرها عنه وهي تجيب قائلة:
- لا سوء تفاهم بيننا!
- اخالفك في ذلك. ولدي الدليل القاطع... وسأوصلك الى عتبة منزل اوليفر الآن.
واتجه بالسيارة نحو المنزل دون ان ينتظر جوابها. فقالت له وهو

يوقف السيارة امام المنزل:
- لا فائدة من مسعاك هذا.
فأجابها وهو ينزل من السيارة ويساعدها على النزول هي الأخرى:
- بالعكس. المهم ان يواجه واحدكما الآخر.
- ولكنه لا يرغب في رؤية وجهي!
- انت على خطأ. فهو يرغب في لقائك كل الرغبة، سواء ادرك ذلك او لم يدركه.
وطرق بريان الباب، فيما روبن تصيح به راجية:
- بربك يا بريان، لا اريد الدخول.
وانفتح الباب وظهر ريك شاحب الوجه مقطب الجبين، فصرخت روبن:
- اوه ريك... ريك!
وقال بريان:
- لا اعلم من هو ريك، ولكني جئتك بهدية يا اوليفر.
ودفع روبن بين ذراعي ريك وقفل راجعاً الى سيارته. ورفع صوته قبل ان ينطلق بها قائلاً:
- ارجو ان تدعواني الى حفلة العرس!
وحدق اليها ريك وهو يكاد يلتهمها بنظراته، على حد تعبير سلمى. وصاحت به روبن:
- ريك... ريك! احبك، احبك كثيراً يا ريك!
وشدها ريك اليه حتى احست ان اضلاعها تكاد تلتوي على صدره. وقال لها:
- وانا احبك ايضاً يا روبن... انتظرتك طول هذا الاسبوع لتأتي وتعتذري لي.
- اعتذر لك؟
وافلتت من بين ذراعيه لتحدق الى وجهه، ثم تابعت كلامها

قائلة:

- ولكني لم اكن اثق بك، ولم اكن...

فقاطعها قائلاً وهو يسير بها الى داخل المنزل:

- وكيف لك ان تثقي بي؟ فانا لم اخبرك شيئاً عني، ما عدا كوني اريدك ان تكوني لي. حتى اسمي لم يكن، في الحقيقة، اسمي. ومع ذلك احببتني وجازفت بحبك لي. وفي هذا الصباح ذهبت الى الحانوت وتحدثت الى والديك.

فحملقت في وجهه سائلة:

- اصحيح هذا؟

- نعم. لم اعد اطيق فراقك... وطلبت منهما السماح لي بالزواج بك.

- وماذا اجابا؟

- بالايجاب. على ان الأمر عائد اليك. وكنت سأحضر اليك هذا المساء اذا كنت توافقين على الزواج بي!

فألقت نفسها بين ذراعيه وهي تردد:

- نعم، نعم، اوافق من كل قلبي.

واخذ ريك يعانقها بوله شديد ويقول لها:

- آه لو تعلمين كم احبك.

- يكفيني ان تحبني نصف حبي لك.

- لا بل اكثر من حبك لي... اكثر بكثير.

وشعرت روبن بالنشوة تسري في عروقها، فتمتمت قائلة:

- وهل تحبني اكثر مما احببت ميلاند؟

- كنت احب ميلاند يا روبن، ولكن ليس بالقدر الذي احبك فيه. ولم اكن اتوقع ان اصدف في حياتي فتاة بريئة صادقة مثلك، تستحق مني اقصى الحب.

- اتريدني اكون بريئة صادقة معك الآن؟

فنظر ريك الى وجهها، وحين رأى بريقاً غريباً في عينيها اجابها

قائلاً:

- كلا. يخيل الي انك ستقولين شيئاً يجب ان لا تقوليه.

- اريد ان اتزوجك الآن!

- ارأيت صدق كلامي؟ لا، يمكنك الانتظار.

- وهل يمكنك انت الانتظار؟

- من الخير ان افعل!

ومرت سنة على زواجهما. ولهذه المناسبة هيأت روبن عشاء فاخراً لهما. وكان ريك يعمل في لندن ويقضي نهاية الاسبوع في اورشرد هاوس.

وجلسا معاً امام الموقده، كزوجين ينعمان بالحب المتبادل الذي لم تزده الأيام الا نضارة ونقاء.

وقال لها ريك وهو يطوق كتفيها بذراعه:

- لي هدية لك يا حبيبتي.

- ريك!

- هي ليست هدية عادية لمثل هذه المناسبات.

- ولكنك اهديتني هذا...

واشارت الى الاسوارة الماسية التي اهداها اليها وهما يتناولان طعام العشاء.

فقال لها وهو يخرج الهدية من حقيبة يده:

- هي ليست هدية عادية كما اخبرتك.

وناولها اياها، فصاحت بدهشة:

- كتابك الجديد!

- النسخة الأولى. اقرأي لمن اهديته.

وفتحت روبن الكتاب وقرأت على الصفحة المخصصة للاهداء هذه العبارة: «الى روبن التي لولاها لم يكتب هذا الكتاب، ومن دونها لا اريد ان ابقى على قيد الحياة!».

وانهمرت الدموع من عينيها، لأنها كانت تدرك ان لقاءه بها

احدث كثيراً من التغيير في محتوى الكتاب. من ذلك ان دومينيك، بطل الرواية كان سيموت. ولكن ريك بعدما تعرف الى روبن قال لها انه لا يسمح لدومينيك بهذه النهاية، لأنه اذا كان يحب باربرا كما يحب هو روبن، لجازف بكل شيء للبقاء معها دائماً. وهكذا كان ان الرواية التي كانت في الأصل مأساة تحولت الى حكاية حب صادق وعميق.

وألقت روبن بنفسها بين ذراعي ريك وهي تقول:

ـ يا حبيبي! هذا رائع جداً.

فضمها ريك اليه بحنان بالغ، ثم ابعدها عنه وقال لها:

ـ والآن اريد ان اعرف شيئاً كتمته عني هذه المدة الطويلة. وهو ماذا حدث ليلة وقوع حادث الاصطدام؟

ـ اغمي علي حين سمعت بالخبر!

ـ صحيح؟

ـ نعم... وظننت انك قضيت نحبك!

فعانقها بحرارة وقال:

ـ آه، يا حبيبتي!

ـ ريك، لي انا ايضاً هدية لك.

ـ ألا يكفي العشاء الفاخر الذي اعددته لنا؟ وقلم الحبر الذهبي ايضاً؟

فعضت روبن على شفتها واجابت قائلة:

ـ لم اشتر هذه الهدية، كما انك لا تستطيع ان تتسلمها الآن.

فقطب ريك جبينه قائلاً:

ـ ماذا تعنين؟ لا استطيع ان افهم كلامك.

ـ ريك! انا حامل لألد لك ولداً...

فاضطرب ريك لهذه المفاجأة التي لم يكن يتوقعها بمثل هذه السرعة، فصاح:

ـ انت حامل؟

ـ نعم.

ـ اذن، لماذا ارهقت نفسك بالعمل اليوم يا حبيبتي؟

فقهقهت ضاحكة من ردة فعله:

ـ كم طفلاً قلت مرة انك جلبت الى هذا العالم؟

ـ المئات، ولكن لا واحد منهم كان لي... والآن اخبريني يا روبن هل انت بخير؟

ـ انا بكل خير يا ريك. لا تقلق علي. كل ما في الأمر ان الفرح يثيرني ويوتر اعصابي.

ـ وانا كذلك. ولا يمكن ان تتصوري كم انا فخور بهذا الحدث السعيد.

ثم قال لها بعد قليل من التأمل:

ـ هل تريدين ان احضر الولادة؟

ـ كيف لا، وانت الاخصائي الشهير؟

فضحك قائلاً:

ـ وكيف تكون الحال اذا وقع الاخصائي الشهير مغمى عليه في غرفة التوليد؟

فضحكت روبن ايضاً وهي تجيب:

ـ لو حدث ذلك لك، لأغمي علي انا ايضاً!

فضمها اليه وهو يقول:

ـ لن يحدث لي شيء من هذا، على الرغم من امكان حدوثه!

وصدق ريك في كلامه.

وولدت لهما ابنة شقراء الشعر كوالدتها. وكانت عيناها زرقاوين، غير ان الدلائل كلها تشير الى ان زرقتهما الفاتحة ستصبح، عندما تكبر، زرقة رمادية غامقة كعيني والدها.